بارقة الأمل

في

شروط قبول العمل

تأليف

د.هيثم بن محمد بن حمدان

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ أبو داود الدمياطي

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: بارقة الأمل في شروط قبول العمل

إعـــــــداد: د.هيثم بن محمد بن حمدان

رقم الإيداع: ٢٣٩٦٩/ ٢٠١٤

الطبعة الأولى ٢٠١٤

مكتبة جزيرة الورد

القاهـــرة : ٤ ميـــــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Toropoto_2@yahoo.com

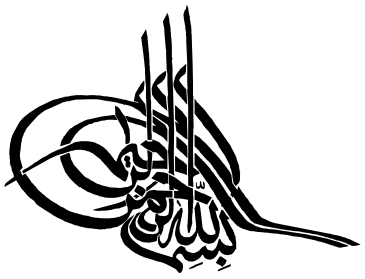

تقديم

فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي

الحمد لله وكفي والصلاة والسلام علي عباده الذين اصطفي ، وبعد . .

فقد اطلعت بتوفيق الله عز وجل علي كتاب الأخ الفاضل الدكتور هيثم بن محمد بن حمدان (بارقة الأمل) فألفيته نافعاً في موضوعه قد بذل فيه جهداً مشكوراً ، وأجاد وأفاد فأسأل الله عز وجل أن يبارك فيه وينفع به الإسلام والمسلمين . آمين

وكتب العبد الفقير
أبو داود يحيي بن مسعد آل حزه الدمياطي
في يوم الأحد الموافق ٢٢/ ١٢/ ١٤٣٤ هـ
٢٧/ ١٠/ ٢٠١٣م

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد:

فهيا بنا ننطلق في هذه الرحلة المباركة ، رحلة تنطلق فيها قلوبنا بجناحي الخوف والرجاء في الطريق إلى الله نرجو رحمته ونخاف عذابه .

قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

هيا بنا نركب سفينة التوحيد التي بها - وبها وحدها - النجاة في بحر

الدنيا الذى تموج فيه الفتن موجاً .

ما من مسلم إلا وهو يرجو أن يدخل الجنة ويزحزح عن النار وهذا هو الفائز الحقيقي لأن متاع الدنيا قليل وأمره إلى فناء .

قال تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران:١٨٥] .

روى الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ١٦٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر و يسرقون؟

قال: «**لا يا بنت الصديق - أو يا بنت أبى بكر - ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**» .

لقد كان السلف الصالح يهتمون بقبول العمل أشد الاهتمام حتى يكونوا في حالة خوف و إشفاق .

- روي عن على رضي الله عنه أنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧] [(١)] .

- قال فضالة بن عبيد: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧] .

(١) لمزيد من هذه الأقوال راجع كتاب لطائف المعارف للإمام ابن رجب الحنبلي .

- قال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا .

- قال الحسن البصرى - رحمه الله -: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

فلنتدبر إذن حال المؤمنين مع اجتهادهم وشدة بذلهم في سبيل الله يقدمون جانب الخوف علي جانب الرجاء وهذا هو وصفهم في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

قال تعالى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩] .

قال تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ [السجدة: ١٦] .

فكيف السبيل إذن إلى قبول العمل؟ وهل يشترط لذلك شروط؟

هذا ما سنعرفه إن شاء الله تعالي من خلال هذه الرحلة المباركة التي عنونت لها باسم: (بارقة الأمل في شروط قبول العمل)

والله أسأل أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم و أن ينفعني و إخواني بها ، ولا أنسي أن أتقدم بخالص الشكر لشيخنا الحبيب فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي علي ما بذله من جهد في مراجعة هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته ، وأن يبارك له في عمره وعلمه وأهله وماله ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

أبو البراء هيثم بن محمد بن حمدان
دمياط الجديدة / ٥ شوال ١٤٣٤هـ

* * *

الباب الأول:
شروط قبول العمل

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول

الشرط الأول: توحيد الله عز وجل

الفصل الثاني

الشرط الثاني: الإخلاص

الفصل الثالث

الشرط الثالث: المتابعة

الفصل الأول
الشرط الأول: توحيد الله عز وجل

إن السعادة الحقيقية . . سعادة الدنيا والآخرة تكمن في كلمة واحدة ، إنها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

إنها الكلمة التي يبلغ بها المسلم السعادة التي لا يخالطها شقاء ، إنها الكلمة التي يهون بها كل ابتلاء .

كلمة التوحيد هي حق الله على جميع المخلوقات و لأجلها بعث الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وجاءت الرسالات .

كلمة التوحيد انقسم الناس بها إلى شقى وسعيد . . ومقبول وطريد . . وبها انفصلت دار الكفر عن دار الإيمان وتميزت دار النعيم من دار الجحيم .

كلمة التوحيد هي أصل الدين وأساسه ورأس أمره ، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها . . فهي دين شامل ومنهج حياة متكامل .

ومن المحال أن يكون ذلك كله من أجل كلمة ترددها الألسنة فحسب بل لابد من الإقرار باللسان و الاعتقاد بالجنان والعمل بالجوارح و الأركان . . . لتحويل جميع مقتضياتها إلى منهج حياة .

* * *

[مقتضيات كلمة التوحيد]

١ - توحيد الربوبية وهو: إفراد الله تعالى وحده بالخلق والرزق و التصريف و التدبير و النفع والضر وإجابة الدعاء والأمر كله ، وهذا النوع من التوحيد يسمى توحيد الله في أفعاله .

قال تعالى ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِين** ﴾ [الأعراف:٥٤] .

إن توحيد الربوبية لا يكفي وحده للدخول في الإسلام ، وقد كان المشركون مقرين به فلم ينفعهم ذلك ، ولم يدخلوا في الإسلام ، لأنهم مشركون في توحيد الألوهية ، لصرفهم بعض أنواع العبادة كالدعاء والذبح والاستغاثة لمعبوداتهم كالأصنام و الملائكة وغيرهم .

قال تعالى: ﴿ **قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** ﴾ [المؤمنون:٨٤: ٨٩] .

٢ - توحيد الألوهية وهو: إفراد الله تعالى وحده بالعبادة الظاهرة والباطنة سواء كانت عبادة قلبية كالخوف والرجاء أو قوليه كذكر الله أو عملية تتعلق بالجوارح ، وهذا كله مع البراءة التامة من كل معبود سوى الله جل وعلا .

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

فركنا كلمة التوحيد هما:

١ . نفي الألوهية عن غير الله .

٢ . إثبات الألوهية لله وحده ولا ننسى في هذا المقام أن نذكر أن توحيد الألوهية يسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بتوحيد الله بأفعال العباد أو توحيد الإرادة والطلب لأنه مبنى على إخلاص القصد في جميع العبادات بإرادة وجه الله تعالى .

إن توحيد الألوهية من أجله خلق الله الجن والإنس قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ومن اجل توحيد الألوهية أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم ، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك والبدع والخرافات ، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل الله وهو أول الدين وآخره ، بل هو حقيقة دين الإسلام ؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) لقد دل الحديث الشريف على وجوب توفر **شروط لكلمة التوحيد** وكذلك على وجوب انتفاء موانعها (انتفاء نواقضها) وهذا كله قد استفيد من قيد (إلا بحقها) .

لقد دلت النصوص الشرعية على أن لهذه الكلمة العظيمة سبعة شروط هي:

شروط لا إله إلا الله:

- **الشرط الأول**: العلم بمعناها الذى تدل عليه . فيعلم أنه لا أحد يستحق العبادة إلا الله تعالى .

قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله** ﴾ [محمد: ١٩] .

- **الشرط الثاني**: اليقين المنافي للشك ، فلا بد أن يؤمن إيمانا جازما بما

تدل عليه هذه الكلمة من أنه لا يستحق العبادة إلا الله تعالى فإن الإيمان لا يكفي فيه إلا علم اليقين ، لا الظن ولا التردد ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)**﴾ [الحجرات: ١٥] .

- **الشرط الثالث**: القبول المنافي للرد ، فيقبل بقلبه ولسانه جميع ما دلت عليه هذه الكلمة ، ويؤمن بأنه حق وعدل ؛ قال الله تعالى عن المشركين: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)**﴾ [الصافات: ٣٥ ، ٣٦] .

فمن نطق بكلمة التوحيد ولم يقبل بعض ما دلت عليه إما كبراً أو حسداً ، أو لغير ذلك فإنه لا يستفيد من هذه الكلمة شيئاً .

- **الشرط الرابع**: الانقياد المنافي للترك ، فينقاد بجوارحه ، بفعل ما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده .

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [لقمان: ٢٢] .

ومعنى "يسلم وجهه": ينقاد . ومعنى "وهو محسن": أي موحد فمن قالها وعرف معناها ولم ينقد للإتيان بحقوقها ولوازمها من عبادة الله والعمل بشرائع الإسلام ، ولم يعمل إلا ما يوافق هواه أو ما فيه تحصيل دنياه لم يستفد من هذه الكلمة شيئاً .

- **الشرط الخامس**: الصدق المنافي للكذب ، وهو أن يقول هذه الكلمة صدقاً من قلبه ، يوافق قلبه لسانه .

قال تعالى: ﴿**الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)**﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] .

ولذلك لم ينتفع المنافقون من نطقهم بهذه الكلمة ، لأن قلوبهم مكذبة بمدلولها ، فهم يقولونها كذباً ونفاقاً .

- **الشرط السادس**: الإخلاص المنافي للشرك .

فلابد من تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك قال الله تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)** ﴾ [الزمر: ٢] .

فمن أشرك بالله تعالى في أي نوع من أنواع العبادة لم تنفعه هذه الكلمة .

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٥] .

- **الشرط السابع**: المحبة وهي: أن يحب المسلم هذه الكلمة وما دلت عليه ، ويحب أهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها ، ويبغض ما ناقض ذلك .

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله** ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

فمن قال (لا إله إلا الله) ولكنه أبغض ما دلت عليه من عبادة الله وحده لا شريك له فليس بمسلم كما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد: ٩] .

ولقد جمع لنا الشيخ حافظ حكمي - رحمه الله - هذه الشروط في منظومته الرائعة سلم الوصول فقال:

وبشروط سبعة قد قيدت ::: وفي نصوص الوحي حقًا وردت
العلم واليقين والقبول ::: والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ::: وفقك الله لما أحبه
فإنه لم ينتفع قائلها ::: بالنطق إلا حيث يستكملها

وكما أن لكلمة التوحيد شروطاً قد ذكرناها، فإن لها أيضاً نواقض وتسمي

نواقض الإسلام وهي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الاسلام وهي كثيرة لكن من أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض - ذكرها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كتابه العقيدة الصحيحة وما يضادها - وهي:

نواقض الإسلام:

١) الشرك في عبادة الله .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] .

ومن ذلك دعاء الاموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

٣) من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

٤) من اعتقد أن هدى غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر ويدخل في هذا القسم من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في العصر الحالي ، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين ، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرها وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين .

٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾ [محمد: ٩].

٦) من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥: ٦٦].

٧) السحر: ومنه الصرف[1] والعطف[2] فمن فعله أو رضى به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨) مناصرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٩) من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

١٠) الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازئ والجاد والخائف إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه.

---

(1) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الانسان عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.
(2) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الانسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية.

تنبيه:

هناك فرق بين الحكم على الأقوال والأفعال والاعتقادات بصفة عامة فيقال: من اعتقد أو قال أو فعل كذا وكذا فهو كافر وهذا يسمى كفر النوع، وبين الحكم على الأشخاص، فما كل من قال أو فعل الكفر فهو كافر، حتى تتحقق في حقه شروط وتنتفي موانع. فإذا كان من صدرت منه هذه المكفرات مكرهاً أو جاهلاً او متأولاً أو مقلداً لمن ظن أنه على حق، فإن هؤلاء لا يبادر بإطلاق الكفر على أعيانهم حتى ننظر في أمرهم. والذين يتولون إصدار الأحكام على من حصل منهم ما يخل بالعقيدة من نواقض الإسلام هم العلماء الراسخون، وليس من حق كل متعلم أو جاهل أن يتولى ذلك لأن هناك فرق كبير بين كفر النوع وكفر العين كما سبق.

٣) ومن مقتضيات كلمه التوحيد: تحقيق توحيد الأسماء والصفات.. وهو إفراد الله تعالى بأسماء الجلال وصفات الكمال، والايمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل لأنه جل وعلا: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].

قال تعالى: ﴿**وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٤) ومن مقتضيات كلمة التوحيد: الإيمان الصحيح الصادق برسول الله ﷺ والذي يتمثل في طاعة النبي ﷺ في كل ما أمر، والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر، وتصديقه في كل ما أخبر عن ربه، ومحبته أكثر من النفس والولد والمال بدون غلو أو إطراء، قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

٥) الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ**

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فلا يصح لمؤمن دين إلا بموالاة الله ورسوله وأهل التوحيد، والبراءة من الشرك والمشركين وأهل الضلال وبغضهم كما تبرأ ابراهيم والذين معه من الكفار وكما تبرأ نبينا محمد ﷺ وصحبه من كفار قريش.

روى الطيالسى والحاكم والطبراني في الكبير والصغير عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" صححه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (٢٥٣٩).

٦) ومن مقتضيات كلمة التوحيد: أن يكون الحكم لله عز وجل وحده، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إن حكم الله وتشريعه مبنى على العلم والعدل والنور والهدى أما حكم غيره فمبني على الجهل والظلم.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

أبعد كل هذه الآيات البينات، هل يستطيع أحد أن يزعم بأنه أعلم بمصالح الناس من رب العالمين؟!

وفي نهاية هذا الفصل: أسأل الله أن يرزقنا الحياة بالتوحيد على منهج التوحيد لنسعد في الدنيا والآخرة.

* * *

الفصل الثاني: الشرط الثاني
الإخـلاص

الإخلاص هو: تصفية العمل عن جميع شوائب الشرك وذلك بـإفراد الله عز وجل بالقصد في الطاعة .

إن منزلة الإخلاص منزلة عظيمة ومقام جليل ، إذ لا يقبل الله قـولاً ولا عملاً إلا بالإخلاص والاتباع .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَـنْ تَجِـدَ لَـهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بالله وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُولَئِكَ مَعَ الْـمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء: ١٤٥ ، ١٤٦] .

والسؤال هنا: ماذا نفعل حتى ننال هذه المنزلة العظيمة؟

والجواب: فلنكسر حظوظ أنفسنا ولنقطع الطمع في الدنيا وليكن همنا واحد . . هم الآخرة فحسب ، إننا إن فعلنا ذلك استقامت قلوبنا وصار الإخلاص سجية لنا وما أيسره علينا حينئذ .

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» .

أما الذي يتعلق بالدنيا ويجعلها همه فلا يعمل إلا لأجلها ولا ينشط إلا لطلب العلو فيها فلا تسلم له عبادة من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً .

إن الصدق في الإخلاص من أشق الأمور على النفوس ، وهذه المشقة لا يعاني منها عوام الناس دون العلماء والأئمة بل كثير من العلماء والصالحين لاقوا هذه المعاناة .

قال سفيان الثوري – رحمة الله –: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي

لأنها تتقلب علي .

ولذلك كان الرسول ﷺ كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٤٨٠١) وكان يكثر في قسمه أن يقول: «**لا ومقلب القلوب**» رواه البخاري .

ولم لا؟! فالقلوب كثيرة التحول والتبدل في مآربها ونياتها ومن شاء أن يعلم فلينظر إلى تحول قصده ووجهته في مدى ساعة واحدة .

روى أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (حديث رقم ٢٠٩١) من حديث النواس بن سمعان رضي اله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من قلب إلا وهو معلق بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، والميزان بيد الرحمن، يرفع أقواماً، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة**» .

* والسؤال الذي قد يرد في ذهن الكثيرين: لماذا تتقلب القلوب؟

والجواب: إن السبب في تقلب القلوب يعود إلى كثرة الواردات التي ترد على القلوب والقلب كما يقول سهل بن عبد الله التستري: "رقيق تؤثر فيه الخطرات" فما هي إذن الواردات التي ترد على القلب وتجعله يتقلب بهذه الصورة؟

لقد أجاب الحارث المحاسبي عن هذا السؤال وقد حصر الواردات التي ترد على القلب في ثلاثة أشياء:

الواردات التي ترد على القلب:

- **الأول: تنبيه من الرحمن**: روى أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران،**

فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع، يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه..فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوقه واعظ الله في قلب كل مسلم» صححه الألباني في صحيح الجامع (حديث ٣٨٨٧) .

ويرى المحاسبي أن واعظ الله يتحقق في قلب المسلم بأن يحدث الله الخاطر ببال عبده ، وينشئه في قلبه ، أو بأن يأمر الملك بفعل ذلك .

- **الثاني تزيين الشيطان ونزغه ووسوسته** ، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يفزع إلى الله مستجيراً من نزغات الشيطان ؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف:٢٠٠] .

وأخبر سبحانه أن الشيطان يوسوس في صدور الناس ؛ قال تعالى: ﴿ **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾ [الناس:٤ - ٦] .

والشيطان عنده القدرة على أن يخالط القلب ويصل إليه ؛ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» .

وهو يوسوس للإنسان بالشر ، فإذا ذكر العبد ربه اختفي الشيطان وهرب .

روى البخاري تعليقاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**الشيطان جاثم على قلب اين آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس**» .

والشيطان يزين المعاصي والآثام للعبد ويحركه إلى فعلها ؛ قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ [مريم:٨٣] ، أي

تحركهم إلى المعاصي والآثام تحريكاً .

قال ابن القيم – رحمه الله – واصفاً كيد الشيطان:

ومن كيد عدو الله تعالى: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه ، فلا يجاهدونهم ، ولا يأمرونهم بالمعروف ، ولا ينهونهم عن المنكر ، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان ، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه .

قال قتادة: "يعظمهم في صدوركم ، ولهذا قال فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم" .

ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله ، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء ، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له ، حتى يخيل له أنه يضره ، فلا إله إلا الله ، كم فتن بهذا السحر من إنسان ، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة ، وشنَّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روج من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة ، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك ، وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، ووأد البنات ونكاح الأمهات ، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان ، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم ، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب

التنزيه ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] ، والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول مَن هو أعلم منهم ، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس" ا .هـ

- **الثالث من الواردات التي تؤثر في القلب: النفس الأمارة بالسوء:** فهي تدعو إلى الطغيان وتأمر بالشر ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣] .

وقال تعالى في حق ابن آدم الذي قتل أخاه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣٠] .

فهذه الثلاثة ترد على القلب ، فيحتاج العبد أن يكون يقظاً دائماً ، يردع نفسه عن هواها ، ويكبح زمام النفس الأمارة بالسوء ، ويعد العدة دائماً لمحاربة عدوه: الشيطان ، ومصارعته بالأسلحة التي عرفه الله بها ، من الذكر والتلاوة والعبادة ونحو ذلك .

لماذا كان الله هو المقصود دون سواه؟

إفراد الله بالقصد في الطاعة يرجع إلى حقائق كثيرة نذكر بعضها عسى الله أن ييسر علينا بها الإخلاص:

(١) الغاية التي ليس وراءها غاية:

الناس جميعاً مؤمنون وكفار لابد لهم من مراد يقصدونه ، ويتوجهون إليه ، على ذلك فطرهم الله ، فالإنسان دائم الهم والإرادة ، دائب العمل والحركة .

والسبب في ذلك أن الإنسان فقير إلى غيره محتاج إليه كي يسد نقصه ويكمل عجزه ويحصل حاجته ، وفقره هذا دائم لا يتوقف ولا ينقطع .

ليس هناك من شيء يمكن أن يسد فقر النفس الإنسانية وحاجتها إلا أن تصل إلى ربها ومعبودها ، فتعرفه وتقصده دون سواه ، عند ذلك يجد القلب مطلوبه ، وتحصل النفس على مرادها ، فيكون الاطمئنان والراحة والهناء وفي ذلك يقول رب العزة:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨] .

فليس هناك ما يمكن أن يجلب الطمأنينة إلا الوصول إلى الرب المعبود معرفة وقصداً وتوجهاً .

إن السبب الذي يجعل كثيراً من الناس يطلبون الأدنى من الأمور ويقصدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً: فساد العلم ، وكثرة الجهل ، وضعف الهمة ، فكلما صح العلم ، وانتفي الجهل ، وصحت العزيمة ، وعظمت الهمة ؛ طلب الإنسان معالي الأمور ، فبعض الناس همه لقمة يسد بها جوعته ، وشربة تروي ظمأه ، ولباس يواري سوأته .

أما همة المسلم فلا تقف إلا أن تصل إلى الغاية التي لا غاية وراءها والمطلوب الذي لا مطلوب بعده .

قيل لأحد الصالحين: فلان بعيد الهمة ، قال: إذن لا يرضى بما دون الجنة ، وفي عيون الأخبار أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - جاءه دكين الراجز فقال له عمر: يا دكين ، إن لي نفساً تواقة ، لم تزل تتوق إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة .

(٢) الله هو المستحق لأن يقصد ويعبد:

الله وحده المستحق لأن يقصد دون سواه لأنه المعبود الذي يتصف بصفات الجلال والكمال ، فهو الكامل في ذاته وصفاته ، وهو المنعم المتفضل بيده النفع والضر ، والخفض والرفع ، والعطاء والمنع والنصر والخذلان ، والعز والإذلال .

قال تعالى: ﴿قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦، ٢٧].

وهو وحده المطلوب المقصود لأنه الخالق الهادي المطعم المسقي الذي يشفي من الأمراض والذي يغفر الذنوب والخطايا.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢].

فمن كانت هذه صفاته، وتلك أفعاله فهو وحده الذي يستحق العبادة خوفاً ورجاءً، ورغبةً ورهبة، وخشيةً وإنابة وخضوعاً وتوكلاً واعتماداً، وصلاة وصياماً، وزكاة وحجاً، ونذراً ودعاءً.

(٣) السعادة في قصده والشقاء في توجيه القلوب إلى سواه: إن التوجه لغير الله مخالف للفطرة الإنسانية فلا تجد إنساناً ابتغى بعمله غير الله سعيداً بل هو يعيش في ظلمات من الشقاء بعضها فوق بعض، ولا يغني عن الإنسان أن يحوز الدنيا ويملكها، فإن منابع السعادة والشقاء هناك في أغوار النفس الإنسانية، فالإنسان مفطور على أن يتوجه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة فإن توجه إلى غير الله فقد ظلم نفسه ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

والتوجه إلى غير الله إفساد للنفوس؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:١٠]

كما أن التوجه إليه وحده بالعبادة إصلاح وتزكية؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩].

إن الإنسان الذي يقصد بعمله غير الله يشقى شقاءً ما بعده شقاء لأن همومه تتعدد ، وغايته تتشتت ، فإذا لم يكن هم العبد هماً واحداً تقاسمته هموم الدنيا ، فعند ذلك لا يدري إلى أين يسير وكيف يتجه؟ فيحاول إرضاء هذا مرة ، وذاك مرة ، والذي رضى عنه قد يغضب عليه ، والذي زين له العمل قد يستقبحه منه بعد حين ، وعند ذلك يصاب الإنسان بالصراع النفسي والقلق الروحي والأمراض العصبية مما قد يدفعه إلى الانتحار . أما المسلم فغايته واحدة ومنهجه الذي يؤدي إلى الغاية واحد وهو قادر على أن يرضي الله ويسير على هداه وبذلك تجتمع على العبد نيته ويتوحد مطلوبه .

روى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كانت نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له**» صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠) .

قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧] .

(٤) لا سبيل إلى تحرر النفس الإنسانية إلا بتوجهها إليه:

إن مفهوم العبودية لله في الإسلام يعني الحرية في أرقى صورها وأكمل مراتبها .

إن العبودية لله إذا كانت صادقة تعني التحرر من سلطان المخلوقات والتعبد لها ، والذين يزعمون أنهم يستطيعون تحقيق الحرية بعيداً عن الله ومنهجه مخطئون ، لأن الإنسان ، بل كل مخلوق سيبقى عبداً شاء أم

أبى ، فهو إن رفض الخضوع لله اختياراً فسيخضع لمخلوق مثله ،لا يملك له نفعاً ولا ضراً بل قد يخضع لمن هو أقل منه شأناً ، وبذلك يكون قد استبدل عبودية بعبودية ولم يخرج من العبودية إلى الحرية بل خرج من عبودية الله إلى عبودية الطاغوت ، وثناً أو صنماً أو بشراً أو غير ذلك .

وفي هذه الأيام تتردد كلمة الحرية ، ويزعمون أن الثورة الفرنسية أعلنت هذا المبدأ ، وأن هيئة الأمم المتحدة أقرت الحرية مبدأ وليس الأمر كذلك فإن ما فعله هؤلاء أنهم أخرجوا الناس من عبودية نظام وقانون وطائفة إلى عبودية نظام آخر وقانون آخر وطائفة أخرى ، ولكن هؤلاء جميعاً بقوا عبيداً ، وإن ظنوا أنفسهم أحراراً ولن يحررهم من سلطان البشر ويخلصهم من العبودية الظالمة إلا أن يكونوا عبيداً لله يقصدونه وحده وعند ذلك يتحررون من سلطان الآخرين حتى من هوى النفوس التي تتردد في أجسادهم .

إن الإسلام يعتبر الخضوع لأهواء النفس التي تدعو إلى المحرمات والآثام عبودية لهذه الأمور فالهوى شر وثن يعبد ؛ قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [الفرقان:٤٣] .

أما التسامي عما تدعو إليه النفس من المحرمات – وإن كانت محبوبة للنفس – فإنه يمثل في الإسلام الحرية الحقة ، لأنه وإن قيدت حريته من جهة ، بأن ألزم بترك بعض ما يشتهي إلا أنه تحرر من سلطان الهوى من جهة أخرى .

إن أكثر الناس بعداً عن العبودية لله هم أكثر الناس عبودية لغير الله . قال ربعي بن عامر – رضي الله عنه – وهو يواجه رستم قائد جيش الفرس: "إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"

(٥) غنى الله عن العباد وإحسانه إليهم: ومما يوجب علي العباد التوجه إلي رب العباد دون سواه أنه سبحانه وتعالي محسن إليهم متفضل عليهم ، وهو غني عنهم يجلب لهم الخير ويكشف عنهم الضر ، لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة بل رحمة وإحساناً أما العباد فلا يقصدون إلا نفع أنفسهم فحري بنا أن نخلص العمل لله الرزاق الغني الكريم .

* * *

الفصل الثالث:
الشرط الثالث: المتابعة [متابعة السنة]

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب متابعة السنة والتحذير من مخالفتها

المبحث الثاني: تعظيم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة

المبحث الثالث: كيف نفهم سنة النبي ﷺ ؟

المبحث الأول:
وجوب متابعة السنة والتحذير من مخالفتها

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] .

"أخلصه وأصوبه ، وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً .

قال: والخالص إذا كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة"

إن متابعة السنة هي الصراط المستقيم والدين القويم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج ولم لا؟ ونحن نتبع النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وخير الخلق أجمعين وقد أمرنا الله بطاعته في أكثر من موضع من كتابه ، فلنتدبر إذاً هذه الآيات ولنقرأها بقلوبنا عسى الله أن يهدينا بها:

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] .

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٣] .

- قال تعالى: ﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢] .

وفي آيات أخرى كثيرة أمرنا الله عز وجل بعدم مخالفة رسوله الكريم ﷺ، وحذرنا من عصيانه، وتوعد من يخالفه بالعذاب الأليم، ونفي الإيمان عمن لا يتبع حكمه ومما ورد بشأن ذلك في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] .

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣] .

- قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

﴿يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] .

- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] .

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤] .

لقد أرشدنا رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة إلى سبيل النجاة وهو لزوم سنته وحذرنا من الانحراف عن هذا الطريق المستقيم:

- روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله ، ومن يأبى؟

قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» .

- روى مسلم بن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**» .

- روى البخاري ومسلم عن أبي بردة عن أبي موسى - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا،**

وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» .

- روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» .

- روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل: يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» [حديث رقم ٢٥٤٩ في صحيح الجامع] .

- روى أحمد عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه - يقول: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال: «**يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدَّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدناه فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله**» صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط .

- روى البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه قال: «**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال**

بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بني داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا: أولوها له يفقهْهَا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرقٌ بين الناس» .

* * *

المبحث الثاني:
تعظيم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة

سطر السلف الصالح - رضي الله عنهم - أروع الأمثلة وأصدق الصفات في الالتزام بأمر النبي ﷺ وتعظيمه والوقوف عند حدوده بدون زيادة أو نقصان ، وقد ظهرت دلائل ذلك في عدة أمور منها:

- روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما نزلت على رسوله ﷺ : ﴿ **لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة:٢٨٤] .

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله ﷺ : «**أتريدون أن تقولوا، كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير**» . فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله ، فأنزل الله: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ إلى آخره .

- قال البخاري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ** ﴾: عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - أنها نزلت فيه ، قال: "زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت

تخطبها! لا والله، لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٣٢] فلما سمعها معقل قال: سمعاً لربي وطاعة، ثم دعاه، فقال: أزوجك وأكرمك.

- روى مسلم عن أبي قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بُشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء خير كله**» أو قال: «**الحياء كله خير**».

- قال بُشير: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقاراً لله، ومنه ضعف! قال: فغضب عمران حتى احمرت عيناه، وقال: لا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث.

قال: فأعاد بشير، فغضب عمران. قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد إنه لا بأس به!! يعني أنه ليس متهماً بالنفاق.

- روى مسلم عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً من أصحابه يخذف فقال له: لا تخذف فإن رسول الله ﷺ كان يكره - أو قال - ينهى عن الخذف؛ فإنه لا يصطاد به الصيد، ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين. ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: "أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف! لا أكلمك كذا وكذا...".

- روى أحمد عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن

عباس: ما يقول عرية؟!

قيل: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة .

فقال ابن عباس: "أراهم سيهلكون ، أقول: قال النبي ﷺ ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر!!"

ملاحظة : المتعة المقصودة في هذا الأثر هي متعة الحج .

- وحدث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد بحديث أبي هريرة: «**احتج آدم وموسى**» فقال أحد الحاضرين: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟!

- قال: فوثب هارون ، وقال يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارض بكيف؟! فما زال يقول حتى سكت عنه .

- أخرج ابن بطة في الإبانة عن قبيصة الشامي: أن عبادة بن الصامت خرج مع رجل إلى أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير ، وكسرة الفضة بالدراهم ، فقال: يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبايعون الذهب إلا مثلاً بمثل لا زيادة بينهما ولا نظرة**» .

فقال رجل: لا أرى الربا يكون في هذا إلا ما كان من نظرة!

فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليَّ فيها إمرة . فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر: ما أقدمك يا أبا الوليد؟! فقص عليه القصة ، فقال عمر: ارجع إلى أرضك وبلدك ولا إمرة له عليك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك .

* * *

المبحث الثالث:
كيف نفهم نصوص الكتاب والسنة؟

إذا أردنا أن نفهم نصوص الكتاب والسنة على وفق مراد الله عز وجل ومراد رسوله ﷺ فعلينا بفهم الصحابة ومَن تبعهم بإحسان وهؤلاء هم سلفنا الصالح .

فالصحابة - رضوان الله عليهم - قد تميزوا عن غيرهم بالصحبة وهذا الوصف يقتضي أن الموصوف قد شاهد التنزيل وعلم التأويل ، وعرف مقاصد الشريعة وفوق كل ذلك فقد زكاهم الله في أكثر من موضع في كتابه:

- قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة:١٠٠] .

- قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح:٢٩] .

وقد زكاهم النبي ﷺ أيضاً في أحاديث كثيرة منها:

- ما رواه مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» .

- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

الله ﷺ : «**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**» .

- وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟

قال: «**أقراني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته**» .

- وروى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟

قال: «**القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث**» .

ولم يقتصر الأمر على هذه التزكية العظيمة من النبي ﷺ بل قد صرح النبي ﷺ في حديث عظيم واضح الدلالة أن سبيل النجاة الوحيد هو التزام هدى الرسول ﷺ وأصحابه في فهم الدين وتطبيقه . فجماعة الحق على ما كان عليه النبي ﷺ في الاعتقاد والمنهج والعلم والعمل .

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٣٤٣] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» .

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" .

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين: فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "وقوله ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجذ**». هذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، وهذا موافق لما روى عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله".

ولقد كان السلف الصالح – رضي الله عنهم – في أشد ما يكون التثبت والتحري والتوقي في فعل السنة، فلا يفعلون شيئاً إلا بعلم ولا يحكمون آراءهم، ولا يستحسنون بعقولهم شيئاً لم يكن من هدى النبي ﷺ ومن أمثلة ذلك:

– قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه".

– روى البخاري عن سهل بن حنيف قال: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته".

يقصد سهل بن حنيف – رضي الله عنه – رد أبي جندل – بعد أن جاء مسلماً – إلى المشركين بموجب بنود صلح الحديبية.

- روى الترمذي والحاكم أن رجلاً عطس وهو يجلس بجوار عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - فقال: الحمد لله والسلام على رسوله .

فقال له عبد الله بن عمر: "وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله ، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال".

- أخرج الشافعي في الرسالة والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه عن ابن جريج أن طاووساً أخبره: أنه سأل عبد الله بن عباس عن الركعتين بعد العصر؟ فنهاه عنهما قال طاووس: فقلت له: ما أدعهما! فقال ابن عباس:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

- أخرج البيهقي في السنن الكبرى أن سعيد بن المسيب رأي رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه ، فقال: يا أبا محمد ، يعذبني الله على الصلاة؟!

فقال: "لا ، ولكن يعذبك على خلاف السنة"

- قال الأوزاعي - رحمه الله -: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وإنك لعلى هدى مستقيم".

* * *

الباب الثاني:
آفات على الطريق

وفيه ثلاثة فصول: -

الفصل الأول: آفات على طريق التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: الشرك في الربوبية

المبحث الثاني: الإلحاد في الأسماء والصفات

المبحث الثالث: الشرك في الألوهية

الفصل الثاني: آفات على طريق الإخلاص

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: الرياء

المبحث الثاني: العمل للدنيا

المبحث الثالث: العجب

الفصل الثالث: آفات على طريق المتابعة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل

المبحث الثاني: الأحاديث الضعيفة والموضوعة

المبحث الثالث: التقليد الأعمى وتتبع الرخص

المبحث الرابع: اتباع المتشابه

المبحث الخامس: الكبر

الفصل الأول:

آفات على طريق التوحيد

قال الشيخ/ محمد حسان - حفظه الله -:

"وظلت الأمة قروناً طويلة بفضل الله - جل وعلا - ترفل في ثوب التوحيد الخالص الذي كساها إياه إمام الموحدين، وقدوة المحققين، وسيد المرسلين محمد ﷺ. حتى أطلت الفتن برأسها الظلوم ووجهها الكالح الغشوم. وبدأت الأمة - إلا من رحم ربك - تبتعد رويداً رويداً عن التوحيد بصفائه، ونقائه، ووقع كثير من المسلمين في فصام نكد، وخلط عجيب، وبعد مزر عن التوحيد الخالص والعقيدة الصافية" ا.هـ

إن الآفات على طريق التوحيد كثيرة نحصرها في ثلاث آفات رئيسية:

الآفة الأولى: الشرك في الربوبية.

الآفة الثاني: الإلحاد في الأسماء والصفات.

الآفة الثالثة: الشرك في الألوهية.

* * *

المبحث الأول
الآفة الأولى: الشرك في الربوبية

للأسف الشديد ، لقد انتشرت مظاهر الشرك في الربوبية في حياة كثير من المسلمين وهذا نتيجة الجهل ولا أقصد الجهل بالقراءة والكتابة بل قد يحصل الشخص على أرفع وأسمى الشهادات في شتى العلوم وهو يجهل أساسيات دينه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن مظاهر الشرك في الربوبية في الأمة الإسلامية:

١ . شرك القدرية الذين يزعمون أن الإنسان يخلق أفعاله

٢ . شرك كثير من غلاة الصوفية والرافضة من عباد القبور الذين يعتقدون أن أرواح الأموات تتصرف بعد الموت فتقضي الحاجات وتفرج الكربات وقد انتشر هذا الاعتقاد الباطل حتى أصبحت الأضرحة والقبور ملاذاً لكل خائف ومقصداً لكل محتاج فيأتي هؤلاء الجهال يدعون أصحاب القبور ويتوسلون إليهم أن يقضوا حوائجهم وهذا شرك ظاهر في الربوبية لما فيه من اعتقاد أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بالعطاء والمنع والضر والنفع وهذا من التدبير للخلق الذي يختص به الرب تبارك وتعالى . قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر:١٣ ،١٤] ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [الأحقاف:٥ ،٦] .

٣ . اعتقاد غلاة الصوفية والرافضة أن مشايخهم وأئمتهم يتصرفون في الكون أو يغيثون من استغاث بهم ولو مع غيبتهم عنه .

٤ . الرهبة من الجن والخوف منهم والاستغاثة بهم وتقديم القرابين

لهم كالتي تذبح على حافات الآبار عند حفرها وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها فهذا شرك في الربوبية إذ الحامل عليه اعتقاد أن الجن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله وتدبيره .

٥ . الاستسقاء بالنجوم: وذلك باعتقاد أنها مصدر السقيا وأنها التي تنزل الغيث بدون مشيئة الله تعالى ، وأعظم من ذلك أن يعتقد أنها تتصرف في الكون بالخلق أو الرزق أو الإحياء أو الإماتة أو بالشفاء أو المرض أو الربح أو الخسارة فهذا كله من الشرك الأكبر .

قال الله تعالى: ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾ [الواقعة:٨٢] .

والمعنى: تجعلون شكركم لله على ما رزقكم الله من الغيث والمطر أنكم تكذبون أي تنسبونه إلى غيره .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة**» .

٦ . الشرك بدعوى الغيب أو باعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب .

قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا الله** ﴾ [النمل:٦٥] .

وقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّمَا الْغَيْبُ لله** ﴾ [يونس:٢٠] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩]

ومن أمثلة الشرك بدعوى الغيب: -

(أ) اعتقاد أن الأنبياء أو أن بعض الصالحين يعلمون الغيب وهذا الاعتقاد يوجد عند غلاة الرافضة وعند بعض غلاة المتصوفة .

(ب) الكهانة: الكاهن هو الذي يدعى أنه يعلم الغيب سواء ادعى

أنه يعرف ذلك عن طريق (الطرق بالحصى) أم عن طريق حروف (أبا جاد) أم عن طريق (الخط في الأرض) أم عن طريق (قراءة الكف) أم عن طريق (النظر في الفنجان) أم غير ذلك ، كل هذا من الشرك ، وقد قال رسول الله ﷺ : «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» [السلسة الصحيحة - حديث رقم ٣٣٨٧] .

* * *

المبحث الثاني:
الآفة الثانية: الإلحاد في الأسماء والصفات

أهل الإلحاد في الأسماء والصفات ينقسمون إلى أربعة أقسام:

(١) **أهل التعطيل**: وهم الذين ينفون المعنى الحق الذي دلت عليه الصفة وينقسمون إلى عدة أقسام:

(أ) **تعطيل الباطنية**: هم الذين يقولون عن الله عز وجل: لا سميع ولا ليس بسميع ، لا حي ولا ليس بحي ، لا عليم ولا ليس بعليم ، لا موجود ولا ليس بموجود فهؤلاء جعلوا الرب تبارك وتعالى عدماً ويخدعون الناس أنهم يؤمنون بالله ويقولون لا إله إلا الله ومن أمثلة الباطنية الموجودين في العصر الحالي:

- الإسماعيلية: وهي منتشرة في أفغانستان والهند وهؤلاء يعتقدون استحالة وجود الرب ويأخذ صفاته عندهم الإمام .

- الدروز في لبنان: الذين يؤلهون الحاكم بأمر الله الفاطمي .

- العلويون في تركيا وسوريا: الذين يؤلهون علي بن أبي طالب .

ملاحظة: لا شك في كفر فرق الباطنية كفر عين وخروجهم من الملة بالكلية .

(ب) **تعطيل الفلاسفة**: الذين لا يثبتون لله ذاتاً ولا اسماً ولا صفةً ولا فعلاً بل يثبتون وجوداً مطلقاً بدون أي تقييدات ومن أمثلة هؤلاء ابن سينا والفارابي ، وهذه الفرقة خارجة من الملة أيضاً .

(ج) **تعطيل الاتحادية من الصوفية**:

وهؤلاء يعتقدون أن الله هو عين الموجودات وهو ذاتها ويقولون: إن الله في كل مكان حتى في الكلب والخنزير ودورة المياه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومن أمثلة هؤلاء: ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والدسوقي والتلمساني والمرسي أبو العباس وابن عطاء الله السكندري وأبو الحسن الشاذلي .

- قال التلمساني: "وما الكلب والخنزير إلا إله".

- يقولون في جميع أوراد الطائفية الشاذلية بتفرعاتها المختلفة:

"اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة" وهذا كفر بواح .

- قال ابن عربي: "كنت أبغض المرء إن لم يكن دينه ديني فأصبح يستوي عندي اليوم كعبة طائف ودير رهبان وبيت أوثان ومرتع غزلان" كل ذلك واحد عنده وهذا خروج من الملة بإجماع أهل الإسلام".

(د) تعطيل الحلولية من الصوفية:

يعتقد الحلولية أن الله قد حل في كل شيء ويقولون: هو كالريح يسري في كل شيء ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومن أمثلة هؤلاء الحلاج الذي كان يقول:

"لا إله إلا الله ما في الجبة إلا الله".

وهؤلاء كالاتحادية يقولون: الله موجود في كل مكان

- **تنبيهات:**

١ .الاتحاد هو: إثبات لوجودين معاً حتى أصبحا شيئاً واحداً لا يمكن الفصل بينهما .

٢ .الحلول هو: إثبات لوجودين معاً يمكن الفصل بينهما .

٣ .عقيدة السلف أن الله في السماء مستو على عرشه بائن من خلقه أي منفصل عن الخلق والدليل على ذلك:

روى مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: "كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمنا ، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ثم أتيت رسول الله ﷺ وأخبرته فعظم ذلك عليَّ

قلت: يا رسول الله ، أفلا أعتقها؟

قال: ائتني بها ، فأتيته بها فقال لها: أين الله؟

قالت: في السماء

قال: من أنا؟

قالت: أنت رسول الله

فقال رسول الله ﷺ : «**أعتقها فإنها مؤمنة**» .

وقال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه:٥]

٤ . لا شك في خروج الاتحادية والحلولية من ملة الإسلام بالكلية

(٢) أهل التمثيل والتجسيم والتشبيه:

هم الذين يشبهون صفات الله بصفات المخلوق مثل اليهود

(٣) أهل التخييل:

ويعتقد هؤلاء أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته لا حقيقة له تطابق ما أخبروا به ولكنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال .

(٤) أهل التجهيل:

الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يُدرى ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها فهؤلاء

يفوضون المعنى والكيف معاً فيقولون في صفة السمع مثلاً: المعنى مجهول والكيف مجهول .

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: المعنى معلوم والكيف مجهول .

والسؤال هنا: لو كان المعنى مجهولاً كما يدعي هؤلاء فكيف إذاً نتعبد لله بأسمائه وصفاته؟

فنحن عند الضيق والشدة ، ندعو الله فنقول مثلاً: يا رحيم يا رحمن فرج كربنا واكشف عنا ما نحن فيه .

وعند وقوع الظلم علينا وتكالب الأعداء علينا ندعو الله فنقول مثلاً: يا قوي يا عزيز يا جبار انصرنا على مَن عادانا . . . وهكذا .

* * *

المبحث الثالث:
الآفة الثالثة: الشرك في الألوهية

الشرك في الألوهية هو: اعتقاد أن غير الله تعالى يستحق أن يعبد أو صرف شيء من العبادة لغير الله وأنواعه ثلاثة هي: -

*** الأول: اعتقاد شريك لله تعالى في الألوهية:**

ويدخل في هذا النوع من يسمى ولده أو يتسمى باسم يدل على التعبد لغير الله تعالى كمن يتسمى بـ (عبد الرسول) أو (عبد الحسين) أو غير ذلك فمن سمى ولده أو تسمى بشيء من هذه الأسماء التي فيها التعبد للمخلوق معتقداً أن هذا المخلوق يستحق أن يعبد فهو مشرك بالله تعالى .

*** النوع الثاني: صرف شيء من العبادات المحضة لغير الله تعالى:** فالعبادات المحضة بأنواعها القلبية والقولية والعملية حق لله تعالى لا يجوز أن تصرف لغير فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر . والشرك بصرف شيء من العبادة لغير الله ينحصر في أمرين:

- الأمر الأول: الشرك في دعاء المسألة:

دعاء المسألة هو: أن يطلب العبد من ربه جلب مرغوب أو دفع مرهوب . ويدخل في دعاء المسألة: الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة .

والدعاء من أهم أنواع العبادة فيجب صرف لله تعالى ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائناً مَن كان ، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا** ﴾ [الجن:١٨] .

وروى أبو داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء هو**

العبادة» (صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧) .

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في وصيته لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» (صححه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم (٧٩٥٧) . فمن دعا غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر .

ومن أمثلة الشرك في دعاء المسألة:

١ . أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق سواء أكان هذا المخلوق حياً أم ميتاً ، نبياً أم ولياً أم ملكاً أم جنياً أم غيرهم كأن يطلب من المخلوق شفاء المرضى أو النصر على الأعداء أو كشف الكربات وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة بإجماع المسلمين لأنه دعا غير الله واستغاث به واستعاذ به .

٢ . دعاء الميت

٣ . دعاء الغائب

فمن دعا غائباً أو ميتاً وهو يعتقد أن هذا المدعو يسمع كلامه أو يعلم بحاله وسواء طلب من هذا المدعو ما لا يقدر عليه إلا الله أم طلب منه أن يدعو الله له ويشفع له عنده فهذا كله شرك بالله تعالى مخرج من الملة .

٤ . أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في الدعاء ويعتقد أن الله تعالى لا يجيب دعاء من دعاه مباشرة بل لابد من واسطة بين الخلق وبين الله في الدعاء فهذه شفاعة شركية مخرجة من الملة .

قال تعالى: ﴿**أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفي إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر:٣]

- الأمر الثاني: الشرك في دعاء العبادة

دعاء العبادة هو: عبادة الله تعالى بأنواع العبادات القلبية والقولية والفعلية: كالمحبة، والخوف، والرجاء، والصلاة، والصيام، والذبح، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى.

وسمى هذا النوع (دعاء): لأن العبد يفعل هذه العبادات رجاءً لثواب الله وخوفاً من عقابه وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب فهو داع لله تعالى بلسان حاله، لا بلسان مقاله.

ومن أمثلة الشرك في دعاء العبادة

١ . . . شرك النية والإرادة والقصد:

هذا الشرك إنما يصدر من المنافق النفاق الأكبر الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ [البقرة:١٤].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء:١٤٢].

٢ . . . الشرك في الخوف: وهو أن يخاف من مخلوق خوفاً مقترناً بالتعظيم والخضوع والمحبة كمن يخاف من ميت أن يصيبه بمرض أو بمصيبة في ماله أو يخاف أن يغضب عليه، ويدخل أيضاً في الخوف الشركي أن يخاف من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كأن يخاف من مخلوق أن يصيبه بمرض بمشيئته وقدرته فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ**

﴿الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

٣ . . . الشرك في المحبة:

وهي أن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم وهذه هي محبة العبودية التي لا يجوز صرفها لغير الله فمن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦].

٤ . . . الشرك في الرجاء:

وهو أن يرجو من مخلوق مالا يقدر عليه إلا الله كمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولداً أو يرجو منه أن يشفيه بإرادته وقدرته فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

٥ . . . الشرك في الصلاة والسجود والركوع:

فمن صلى أو سجد أو ركع أو انحنى لمخلوق محبة وخضوعاً له وتقرباً إليه فقد وقع في الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٦ . . . الشرك في الذبح:

فمن ذبح تقرباً إلى مخلوق وتعظيماً له وخضوعاً له فقد وقع في الشرك الأكبر وذبيحته محرمة لا يجوز أكلها لأن الذبح عبادة لا يجوز التقرب بها لغير الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام:١٦٢، ١٦٣] .

والنسك هو الذبح .

٧ . . . الشرك في النذر والزكاة والصدقة:

النذر هو: إلزام مكلف مختار نفسه عبادة لله تعالى غير واجبة عليه بأصل الشرع . كأن يقول: لله عليّ نذر أن أصلي كذا أو أصوم كذا أو أتصدق بكذا وما إلى ذلك .

فمن نذر لمخلوق فقال مثلاً: لفلان عليَّ نذر أن أتصدق بكذا أو أن أصوم يوماً أو غير ذلك فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة وكذلك من يقدم زكاة المال أو الهدايا أو الصدقات إلى قبر ميت تقرباً إليه أو يقدمها إلى سدنة القبر تقرباً إلى الميت أو يقدمها إلى الفقراء الذي يذهبون إلى القبر تقرباً إلى الميت فهذا كله أيضاً من الشرك الأكبر .

٨ . . . الشرك في الصيام والحج: مثل من يصوم أو يحج إلى الكعبة تقرباً إلى ولي أو ميت أو غيرهما من المخلوقين وأيضاً كمن يحج إلى قبر تقرباً إلى صاحبه فهذا كله من الشرك الأكبر سواء أفعله العبد أم اعتقد جوازه .

٩ . . . الشرك في الطواف:

الطواف عبادة بدنية لا يجوز أن تصرف إلا لله تعالى ولا يجوز أن يطاف إلا بالكعبة المشرفة وهذا كله مجمع عليه ، فمن طاف بقبر نبي أو عبد صالح أو بمنزل معين أو حتى بالكعبة تقرباً إلى غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر بإجماع المسلمين .

وهكذا بقية العبادات كالتوكل والخضوع وقراءة القرآن والذكر والأذان وغير ذلك لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر .

*** النوع الثالث من أنواع الشرك في الألوهية: الشرك في الحكم والطاعة:**

قال الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في كتابه تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ما فحواه:

ومن صور الشرك في هذا النوع:

١ . أن يعتقد أحد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة لما يقتضي ذلك من المناقضة والمعاندة لقوله عز وجل: ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [التين:٨] .

ومن أمثلة هذا النوع من الشرك: -

(أ) اعتقاد أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في هذا القرن

(ب) اعتقاد أن الإسلام سبب في تخلف المسلمين

(ج) اعتقاد أن الإسلام ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى

(د) اعتقاد أن إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر

وكل هذه الأمثلة تدخل تحت قوله تعالى: ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ .

٢ . أن يعتقد أحد جواز الحكم بغير ما أنزل الله فهذا شرك أكبر لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصريحة الصحيحة القاطعة تحريمه

٣ . أن يضع تشريعاً أو قانوناً مخالفاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحكم به ، معتقداً جواز الحكم بهذا القانون أو معتقداً أن هذا القانون خير من حكم الله أو مثله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة .

٤ . ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعادتهم التي يسمونها "سلومهم" معتقدين أنها أفضل من حكم الله أو مثله أو أنه يجوز الحكم بها فهذا شرك أكبر مخرج من الملة ؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة:٤٤] .

٥ . أن يطيع من يحكم بغير شرع الله ويخضع تماماً له دون إكراه فيطيعه في تحليل الحرام وتحريم الحلال دون رفض أو إنكار ويشهد لذلك ما رواه الترمذي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ٣٢٩٣) عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ .

فقلت: إنا لسنا نعبدهم؟

فقال: ﷺ : "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت بلى .

فقال ﷺ : «**فتلك عبادتهم**» .

فذكر في هذا الحديث أن طاعتهم في مخالفة الشرع عبادة لهم وذكر الله تعالى في آخر الآية الواردة في الحديث أن ذلك شرك فقال جل وعلا: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة:٣١] .

٦ . أن يكره شرع الله أو يكره التحاكم إلى شرع الله .

قال تعالى: ﴿ **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** ﴾ .

٧ . من يدعو إلى عدم تحكيم شرع الله وإلى تحكيم القوانين الوضعية محاربة للإسلام وبغضاً له كالذين يدعون إلى تبرج المرأة واختلاطها

بالرجال الأجانب في المدارس والوظائف وإلى التعامل بالربا وإلى منع تعدد الزوجات وإلى تقنين الاتجار بالخمور وإلى جواز الزنا إذا كان برضا الطرفين وغير ذلك مما فيه دعوة إلى محاربة شرع الله فالذي يدعو إلى ذلك مع علمه بأنه يدعو إلى المنكر وإلى محاربة شرع الله ظاهر حاله أنه لم يدع إلى ذلك إلا لما وقع في قلبه من الإعجاب بالكفار وقوانينهم واعتقاده أنها أفضل من شرع الله، ولما وقع في قلبه من كره لدين الإسلام و أحكامه وهذا كله شرك وكفر مخرج من الملة .

* * *

الفصل الثاني:

آفات على طريق الإخلاص

حتى تستقيم لنا أعمالنا وتصفو بالإخلاص ونرجو من الله قبولها كان لابد لنا أن نبين ما يعكر صفو الإخلاص حتى نكون على بينة من أمرنا ونحذر من هذه الآفات المهلكة التي تدمر الإخلاص لله وتصيبه في مقتل وهذه الآفات تنحصر في ثلاث آفات رئيسية:

- المبحث الأول: الآفة الأولى: الرياء
- المبحث الثاني: الآفة الثانية: العمل للدنيا
- المبحث الثالث: الآفة الثالثة: العجب

* * *

المبحث الأول:
الآفة الأولى: الرياء

الرياء في اللغة: مصدر من راءي يرائي رياءً وهو مشتق من الرؤية

الرياء اصطلاحاً: هو عمل الصالحات يريد مدح الناس وثناءهم وقيل: إظهار الطاعة للغير ليراه الناس ويحمدوه .

والمرائي جعل العبادات مطية لتحصيل أغراضه ، فقد استعمل العبادة فيما لم تشرع لأجله وهذا تلاعب بالشريعة .

وقد ذم الله المرائين في أكثر من موضع في القرآن ومن ذلك:

١ . قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾ [البقرة:٢٦٤] .

٢ . قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾ [النساء:٣٨] .

٣ . قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [الماعون:٤ - ٧] .

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الرياء في أحاديث كثيرة ومن ذلك: -

١ - روى أحمد والبيهقي من حديث محمود بن لبيد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم: الشركُ الأصغر**» .

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: «**الرياء، يقول الله - عز وجل - لهم يوم القيامة إذا جُزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟**» [صحيح الجامع - حديث رقم ١٥٥٥] .

٢ - روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**» .

قال الشيخ/ عمر بن سليمان الأشقر - رحمه الله -:

"فهؤلاء الثلاثة الذين أجهدوا أنفسهم في الطاعات والعبادات لم تنفعهم طاعتهم وعبادتهم لأنهم لم يبغوا بها وجه الله تعالى ، بل صارت عذاباً ، لأنهم قصدوا بها العباد لا رب العباد ، وفي هذا دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته".

٣ - روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتي بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر فآتيه**» .

٤ - روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه**» .

٥ - روى مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله؟

فقال رسول الله ﷺ : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» .

٦ - روى أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الدجال فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله .

قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**» .

[حسنه الألباني في صحيح الجامع - حديث رقم ٢٦٠٧]

هذا الحديث فيه دلالة على أن الرياء من الشرك الخفي ولكن السؤال هنا: لماذا كان الرياء أخطر على المسلم من المسيح الدجال؟

والجواب لأمور منها:

(١) المسيح الدجال قد ظهرت حقيقته بعدما حذر النبي ﷺ منه أمته .

(٢) هذا الشرك الخفي يعرض للقلب كثيراً وقد يفضي بالعبد إلى مراقبة المخلوقين وضعف مراقبته لرب العالمين .

(٣) التحرز والتخلص من الرياء شاق وعسير لخفائه وقوة الداعي إليه ، إذ النفوس مجبولة على حب الرئاسة والمنزلة في قلوب الخلق إلا

من سلم الله .

*** أسباب الرياء**

(١) حب المحمدة

(٢) خوف المذمة والضعة

(٣) الطمع لما في أيدي الناس

*** أقسام العمل لغير الله**

(١) رياء محض لا يراد به غير مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم

(٢) وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً .

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه**» .

أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غيرُ الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة ، نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئاً، تم لهم أجرهم**» .

(٣) إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه ففيه خلاف بين أهل العلم على النحو الآتي: -

(أ) رجح الإمام أحمد وابن جرير الطبري أن عمله لا يبطل بذلك

وأنه يجازي بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن البصري وغيره .

(ب) ذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج ، أما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

*** تنبيه**

إذا عمل المؤمن العمل خالصاً لله وألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره ذلك .

روى مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» .

وأخيراً ، أخي الحبيب ، أحذر نفسي وإياك أن نأتي يوم القيامة نقرأ كتابنا فلا نجد فيه أثراً لصلاتنا ، ولا لزكاتنا ، ولا لأمرنا بالمعروف ، ولا نهينا عن المنكر ، فأين ذهب ثواب هذه الطاعات؟!

لقد تناثر وتبعثر لماذا؟!

كان من أجل الناس ومن أجل الدنيا .

قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ [الفرقان:٢٣] .

أي لا قيمة له ولا وزن ، عافانا الله وإياكم من هذا المصير .

* * *

المبحث الثاني:
الآفة الثانية: العمل للدنيا

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦] .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» .

إن العمل من أجل الدنيا أخطر وأشد من الرياء لأن العمل من أجل الدنيا يمتد ويستشري أما الرياء فإنه في عمل دون عمل ولذلك سمى طالب الدنيا عبداً أما المرائي فما جاءت فيه هذه التسمية .

والسؤال هنا: ما هي أقسام الناس في إرادتهم بعملهم الدنيا حتى يكون كل منا على بينة من أمره؟

والجواب: أقسام الناس في إرادتهم بعملهم الدنيا أربعة:

١ . القسم الأول ممن ركبوا هذا الشرك وأرادوا بعملهم الحياة الدنيا أنه يعمل العمل الصالح وهو مخلص لله ولكن يريد به ثواب الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة .

مثال١: يتعبد لله في الصلاة وهو فيها مخلص لله لكن يريد فيها أن يصح بدنه .

مثال٢: يصل رحمه وهو يريد منه أن يحصل له في الدنيا الذكر الطيب والصلة ونحو ذلك .

فهذا النوع قام بالعبادة امتثالاً للأمر وأخلص فيها لله لكنه لم يقم

بها طمعاً في الجنة وهرباً من النار بل لتحصيل فائدة دنيوية ، فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود:١٥ ،١٦] .

٢ . القسم الثاني: هو الذي يعمل العمل الصالح لأجل المال مثل أن يدرس ويتعلم العلم الشرعي لأجل الوظيفة فقط وليس في نيته رفع الجهل عن نفسه ولا معرفة العبد بأمر ربه ونهيه والرغبة في الجنة وما يقرب منها والهرب من النار وما يقرب منها فهذا لم يعمل العمل صالحاً وإنما عمل العمل الذي في ظاهره أنه صالح ولكن في باطنه قد أراد به الدنيا .

٣ . القسم الثالث: أهل الرياء الذين يعملون الأعمال لأجل الرياء

٤ . القسم الرابع: الذين يعملون الأعمال الصالحة ومعهم ناقض من نواقض الإسلام ، يعمل أعمالاً صالحة: يصلي ، يزكي ، ويتصدق ، ويقرأ القرآن ولكن هو مشرك الشرك الأكبر وإن قال إنه مؤمن فليس بصادق في ذلك لأنه لو كان صادقاً لوحد الله عز وجل .

فهؤلاء الأقسام الأربعة قد أرادوا جميعاً الحياة الدنيا وزينتها ولم يكن لهم هم في رضا الله عز وجل وطلب الآخرة بذلك العمل الذي عملوه لذلك فهم داخلون في الوعيد المذكور في الآية الكريمة من سورة هود والآية الكريمة وإن كانت في الكفار لكن لفظها يشمل من أراد الحياة الدنيا من غير الكفار لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال أهل العلم .

*** ملاحظة مهمة جداً**

الأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين: -

(١) القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده ولم يرد ثواب الآخرة ، لم يرغب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا مثل الصلاة والصيام ونحو ذلك من الأعمال والطاعات فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا ولو أراد به الدنيا فإنه داخل في الوعيد .

(٢) القسم الثاني: أعمال رتب الشارع عليها ثواباً في الدنيا ورغب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا مثل صلة الرحم وبر الوالدين ونحو ذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ :

«**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» فهذا الشخص إذا استحضر ذلك الثواب الدنيوي وأخلص لله في العمل ولم يستحضر الثواب الأخروي فإنه داخلٍ في الوعيد ، لكن إن استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معاً ، وله همة ورغبة فيما عند الله - يطمع في الجنة ويهرب من النار - فإنه لا بأس بذلك لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب الدنيوي إلا للحض عليه .

*** ما هو الضابط والميزان لمن ذل للدنيا؟ أو بصيغة أخرى:**

كيف نعرف أن العمل الذي عملناه كان للدنيا ولم يكن خالصا لله طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه؟

الضابط هو قوله ﷺ : «**إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط**» .

يا إخواني ، فلتنظر النفس ماهي عليه حتى تتدارك نفسها بالانكسار بين يدي الله والتضرع إليه عسى الله أن يخلصها من كل شوائب الشرك وتصفو لمولاها وبارئها .

* * *

المبحث الثالث:
الآفة الثالثة العجب

* **معنى العجب لغةً**: الزهو والكبر ، ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حسناً أو قبيحاً .

* **معنى العجب اصطلاحاً**:

قال الجرجاني: العجب هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبةً لا يكون مستحقاً لها .

وقال الغزالي: العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم .

وقال أبو العباس القرطبي: إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله تعالى .

* **الفرق بين العجب والكبر**

قال الغزالي – رحمه الله –: "فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به ، وبه ينفصل الكبر عن العجب ، فإن العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجباً ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره" .

* **حكم العجب**

العجب كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله ومقته وعذابه في الدنيا والآخرة ، فهو سجية مذمومة وطبع سيء مرفوض .

قال الغزالي رحمه الله: "اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ" .

وقد ورد العجب في آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين خطره وتنبه أنه آفة تجر وراءها آفات دنيوية وعقوبات أخروية فمن ذلك:

(١) قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة:٢٥] .

إن الإعجاب بالكثرة سبب للهزيمة وعلى عكس ذلك فالذل والانكسار لله سبب للنصر والتمكين .

(٢) قال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا** ﴾ [الكهف:٣٦ - ٣٢] .

قال ابن عاشور - رحمه الله -: "ضرب مثلٌ للفريقين للمشركين والمؤمنين بمثل رجلين كان أحدهما معجباً مؤنقاً وحال الآخر بخلاف ذلك فكانت عاقبة صاحب الحال المؤنقة تباباً وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحاً، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الإرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضاً للصلاح والنجاح"

وقد ورد ذم العجب والتحذير منه في سنة النبي ﷺ فقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«**لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجب العُجب**» [حسنه الألباني في صحيح الجامع - حديث رقم ٥٣٠٣] .

في هذا الحديث الشريف بين النبي ﷺ أن العجب أخطر على المسلم من ارتكاب المعاصي لأن العاصي قد يعترف بنقصه وينكسر لله عز

وجل فترجى له التوبة ، أما المعجب فهو مغرور بعمله ولذلك فتوبته بعيدة .

*** أقوال السلف والعلماء في ذم العجب**

- قالت عائشة - رضي الله عنها -: "لبست مرة درعاً جديداً فجعلت أنظر عليه وأعجب به ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه حتى يفارق تلك الزينة؟

قالت: فنزعته فتصدقت به ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: عسى ذلك أن يكفر عنك".

- قال عمر - رضي الله عنه -: "أخوف ما أخاف عليكم أن تهلكوا فيه ثلاث خلال: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه".

- قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب".

- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "علامة الجهل ثلاث: العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهي عن شيء ويأتيه".

- قال مسروق - رحمه الله -: "كفي بالمرء علماً أن يخشى الله وكفي بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه".

- قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: "اثنتان منجيتان واثنتان مهلكتان ، فالمنجيتان النية والنهي ، فالنية أن تنوي أن تطيع الله فيما يستقبل والنهي أن تنهي نفسك عما حرم الله عز وجل والمهلكتان العجب والقنوط".

*** أسباب العجب**

١ . جهل المرء بنفسه وصفاتها وآفاتها وعيوب عمله ، وجهله بربه

وحقوقه وما ينبغي أن يعامل به يتولد منهما رضاه بطاعته وإحسان ظنه بها ويتولد من ذلك العجب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك .

٢ . المدح والثناء والاطراء في الوجه سبب قوي من أسباب العجب

٣ . مقارنة الإنسان لنفسه بمن هو دونه في العمل والفضل ، واعتقاده أن الناس هلكى بالذنوب والمعاصي وأنه على خير كبير إذا قورن بغيره .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**» .

٤ . النشأة والتربية ، فقد ينشأ الإنسان في بيئة غلب عليها طبع العجب والكبر فيأخذ هذا الطبع منها .

٥ . الرفقة والصحبة ؛ فإذا كان الصاحب مصاباً بداء العجب فإن عدواه سرعان ما تنتقل إلى قرينه فيصير مثله .

٦ . الاغترار بالنعمة والركون إليها مع نسيان ذكر المنعم عز وجل .

٧ . تولى المناصب القيادية من سلطة أو قضاء أو إدارة أو غير ذلك من المسؤوليات .

٨ . التمتع بصفة أو مزية تجعله يتميز عن غيره فيها سواء كانت هذه الصفة اضطرارية كالجمال أو فصاحة اللسان أو النسب أو العشيرة أو المال أو البنين أو غيرها ، أو كانت تلك الصفة اختيارية كالعلم أو الطاعة أو الإقدام أو غير ذلك .

٩ . المبالغة في التوقير والاحترام من الأتباع .

١٠ . قلة الورع والتقوى وضعف المراقبة لله عز وجل .

١١ . قلة الناصح والموجه أو فقده بالكلية .

١٢ . عدم التفكر في حال الدنيا والافتتان بها وبزخرفها الفاني بالإضافة إلى اتباع هوى النفس .

١٣ . الغفلة عن نهاية العجب والمعجبين ومآلهم في الدنيا والآخرة .

١٤ . الأمن من مكر الله والركون إلى عفوه ومغفرته .

١٥ . عدم التأمل في النصوص الشرعية من القرآن والسنة النبوية الناهية عن هذه السجية القبيحة ، الآمرة بضدها من تواضع وخفض جناح .

*** علامات العجب**

هناك بعض العلامات والأمارات التي تظهر في سلوك المعجب بنفسه منها:

١ . تزكية النفس والرفع من شأنها .

٢ . عدم سماع النصيحة ، والاستعصاء على التوجيه والإرشاد .

٣ . الفرح بسماع عيوب الآخرين خاصةً الأقران .

٤ . رد الحق والترفع عن الاستجابة لداعيه .

٥ . الاستنكاف عن استشارة العقلاء والفضلاء .

٦ . الاختيال والتبختر في المشي .

٧ . استعظام الطاعة واستكثارها والمنة على الله بها .

٨ . المباهاة بالعلم والتفاخر به وجعله وسيلة للمماراة والجدل .

٩ . التباهي بالأحساب والأنساب ، واحتقار الناس من أجل ذلك .

١٠ . التفاخر بحسن الخلقة وجمال المنظر .

١١ . تعمد التقليل من شأن أهل الفضل من العلماء والمشايخ

والأتقياء .

١٢ . احتقار الناس وتصعير الخد لهم .

١٣ . التكبر عن الاستماع لأهل العلم .

١٤ . الإصرار على الأخطاء وتعمد مخالفة الناس .

١٥ . التصدر في المجالس وإن لم يكن أهلاً لذلك ، لظنه أنه الأجدر بالصدارة .

١٦ . الفتور عن الأعمال الصالحة والاتكال على ما قد عمل ظناً منه أنه قد وصل إلى مرحلة الكمال

*** الآثار السيئة للعجب**

١ . العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه .

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: "أعلم أن من أسباب الكبر العجب ، فإن من أعجب بشيء تكبر به".

٢ . يتولد عن العجب الكثير من الأخلاق السيئة والصفات الرديئة كالتيه وازدراء الآخرين لذا قيل في تعريف التيه: "هو خلق متولد بين أمرين: إعجابه بنفسه وإزراؤه بغيره فيتولد من بين هذين التيه".

٣ . العجب يدعو إلى إهمال الذنوب ونسيانها فلا يحدث العبد بعد ذلك توبة .

٤ . العجب يجعل العبد يستعظم أعماله وطاعته ويمن على الله بفعلها .

٥ . العجب يدعو العبد إلى الاغترار بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ

٦ . العجب يفتر صاحبه عن السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى

وهو الهلاك الصريح .

٧ . العجب يخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل .

٨ . العجب طريق إلى خذلان المرء بحيث يكل الله العبد إلى نفسه فلا ينصره وقد قال الله عز وجل: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة:٢٥] .

٩ . العجب يحبط العمل ويفسده ويذهب به .

قال النووي – رحمه الله –: "أعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب ، فمن أعجب بعمله حبط عمله ، وكذلك من استكبر حبط عمله".

وأخيراً فلنحذر يا إخواني من داء العجب فهو مرض خطير وداء عضال وقد عده شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – نوعاً من أنواع الشرك فقال: "وكثيراً ما يقرن الرياء بالعجب ، فالرياء من باب الإشراك بالخلق ، والعجب من باب الإشراك بالنفس ، وهذا حال المستكبر ، فالمرائي لا يحقق قوله: إياك نعبد ، والمعجب لا يحقق قوله: وإياك نستعين ، فمن حقق قوله: إياك نعبد خرج عن الرياء ومن حقق قوله: وإياك نستعين خرج عن الإعجاب".

* * *

الفصل الثالث:

آفات على طريق المتابعة

قال رسول الله ﷺ :

«يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» [حديث رقم ٨٠٠٢ في صحيح الجامع] .

إن المسلم المتمسك بسنة النبي ﷺ في هذا العصر كالقابض على الجمرِ لما يراه ويسمعه في مجتمع المسلمين الذي صار يموج بالمعاصي موجاً ، فهو إذا سار في الشارع وجد الكاسيات العاريات أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يدري أين يصرف بصره ، وإذا ركب حافلة الركاب وجد السائق قد رفع صوت المذياع بالأغاني الساقطة والموسيقى المحرمة فإذا نصح السائق لم يلتفت إليه وربما رد عليه بألفاظ نابية .

أما إذا ذهب إلى مصلحة حكومية وجد الموظف - إلا من رحم الله - يفتح له الدرج حتى يضع فيه الرشوة لكي يتمم له الموظف مصلحته ، وإذا خرج إلى الشارع مرة أخرى وجد الشباب يجلسون على المقاهي يدخنون الشيشة ويلعبون الورق (الكوتشينة) أو يحملقون في شاشة التلفاز لمشاهدة فيلم هابط أو مباراة كرة قدم لا نجني من ورائها إلا التعصب الممقوت ، وربما ارتفع صوت الأذان وهم لا يحركون ساكناً ولا يلبون نداء ربهم .

وهنا تدور في أذهاننا أسئلة كثيرة:

لماذا تحول مجتمع المسلمين إلى هذه الصورة البائسة؟!

لماذا ابتعد المسلمون عن شرع ربهم تبارك وتعالى؟!

لماذا ابتعد المسلمون عن هدى نبيهم ﷺ ؟!

كان لابد أن أفكر في جواب لتلك الأسئلة وكان لابد أن أبحث عن أسباب المشكلة حتى نضع أيدينا على الحل بإذن الله .

وقد حصرت الآفات على طريق المتابعة في خمسة أمور رئيسية:

* الآفة الأولى: الجهل .
* الآفة الثانية: الأحاديث الضعيفة والموضوعة .
* الآفة الثالثة: التقليد الأعمى وتتبع الرخص .
* الآفة الرابعة: اتباع المتشابه .
* الآفة الخامسة: الكبر .

* * *

المبحث الأول:
الآفة الأولى: الجهل

أعظم الجهل وأشده وأشنعه هو الجهل بالله تعالى وبدينه الذي ارتضاه لعباده، ومن عطل عقله عن تحصيل ما ينفعه من العلوم الشرعية التي بها يقيم دينه ويعبد ربه على بصيرة، فهو من الجاهلين ولو كان مبرزاً في علوم الدنيا.

إن الأمة التي ليس لها من علوم الشريعة أي حظ هي أمة جاهلة هالكة حتى ولو شيدت المحطات النووية واكتشفت أشعة الليزر وصعدت إلى الفضاء حتى بلغت القمر، إذ أن أضر شيء على العباد أن يجهلوا ما ينفعهم وما يضرهم وما يقربهم من الله تعالى وهو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ ولذلك امتدح الله العلم والعلماء وذم الجهل وأهله وأخبر أن أهل العلم وأهل الجهل لا يستويان أبداً.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:٩].

وكل ثناء في القرآن والسنة للعلم والعلماء فإنه ينصرف إلى العلم الشرعي الذي يتوصل به إلى رضوان الله تعالى وكل ذم في القرآن والسنة للجهل وأهله فهو منصرف إلى الجهل بدين الله تعالى.

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم لا يؤمنون بالآيات البينات بسبب جهلهم.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾ [الأنعام:١١١].

والجهل سبب للإعراض عن الحق ومحاربته وهو أكثر داء في أهل الباطل قال تعالى: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٤].

والجهل الذي يضرب بجذوره الآن في أعماق أرض المسلمين له سببان رئيسيان: -

(١) الإرجاء . (٢) الغزو الفكري .

أولا: الإرجاء:

*** الإرجاء لغةً: التأخير**

*** الإرجاء اصطلاحاً:** تأخير العمل عن درجة الإيمان وجعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان لا أنه جزء منه .

*** المعتقدات الأساسية للمرجئة**

(١) الإيمان هو التصديق أو المعرفة بالقلب والإقرار .

(٢) العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ولا هو جزء منه .

(٣) الإيمان لا يزيد ولا ينقص ؛ يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

(٤) أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بكمال تصديقهم وأنهم حتماً لا يدخلون النار في الآخرة .

أسباب الإرجاء:

(١) النظر إلى نصوص الشريعة نظرة عوراء ، فقد رأى هؤلاء المرجئة نصوص الوعد مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر:٥٣] ، ولم يروا نصوص الوعيد والتهديد الشديد على التولي والإعراض وترك العمل كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ** ﴾

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٤ - ١٢٧].

(٢) الأمن من مكر الله وهو: إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة فيدفعه ذلك إلى السهو والغفلة، وقد يملي الله له ويعطيه من الدنيا ما يحب فيطمئن إلى حاله ويزداد بعداً عن طاعة الله.

روى أحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج**»، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام:١٤٤].

صححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٦١]، وفي السلسلة الصحيحة [حديث رقم ٤١٣].

إن الأمن من مكر الله من الذنوب العظيمة والمهلكات المحققة؛ قال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ [الأعراف:٩٧].

أي عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون.

قال تعالى: ﴿**أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأعراف:٩٨].

أي: في نهارهم وهم في شغلهم وغفلتهم.

قال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف:٩٩].

أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم.

(٣) الجهل سبب من أسباب الإرجاء لأن المرجئ لو تعلم العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ بفهم سلف الأمة ما اعتقد هذا المعتقد الفاسد، فمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان

اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان .

والإرجاء كما أسلفنا هو أيضاً سبب للجهل لأنه يدفع المرجئ إلى الرضا بجهله والإعراض عن العلم الشرعي النافع طالما أنه لا تضر مع الإيمان معصية على حد زعمه .

(٤) أهل البدع والأهواء والزنادقة الذين لم يألوا جهداً في إبعاد المسلمين عن دينهم ، وصرفهم عن طاعة ربهم لكي يصبحوا أمة خانعة ضعيفة يسهل السيطرة عليها لصالح أعداء الإسلام .

(٥) أصحاب الشهوات الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً .

قال تعالى: ﴿ **وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:٢٧] .

*** أقوال السلف في ذم المرجئة**

(١) ذكر سعيد بن جبير المرجئة فقال: "إنهم يهود أهل القبلة أو صابئة هذه الأمة" وذلك لمشابهتهم لليهود حينما قالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات .

(٢) ذكر شريك بن عبد الله المرجئة فقال: هم أخبث قوم ، وحسبك بالرافضة خبثاً ولكن المرجئة يكذبون على الله .

(٣) قال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من الإرجاء .

(٤) قال الإمام أحمد بن حنبل: لا يصلي خلف مرجئ .

مظاهر الإرجاء في الأمة الإسلامية:

(١) قول المرجئة: الإيمان الحقيقي في القلب لا في المظاهر .

وهذه المظاهر (أعمال الجوارح) هي أقرب إلى الرياء بزعمهم وهي حجة شيطانية كاذبة إذ لو صحت لقلنا لكل من يعمل عملاً صالحاً: أنت مراء، وبذلك أفسدوا قلوب كثير من عامة المسلمين الذين يتأثرون بمثل هذه الأفكار الخبيثة التي ينفرون بها الناس عن مجالس العلم وسماع النصيحة النافعة من أهل الصلاح والتقوى.

(٢) تجرؤ كثير من هؤلاء المرجئة على ذم العلماء والمصلحين الذين يدعونهم إلى العمل الصالح وإلى الالتزام بمنهج الله وتطبيقه قولاً وفعلاً واعتقاداً، زاعمين أن إيمانهم يعدل إيمان هؤلاء الذين إيمانهم في هذه المظاهر كما يسمونها، بل ويجزم بعضهم أنهم أقرب إلى الله من هؤلاء الكادحين في رضا ربهم وطلب مغفرته وعفوه.

(٣) تساهل بعض هؤلاء بارتكاب المحرمات كاستماع الموسيقى وتبرج النساء والتدخين مع الإصرار على ذلك اعتماداً على سعة عفو الله ومغفرته وما درى هؤلاء أن الإصرار على المعصية قد يسلب الإنسان التوحيد عند الموت.

قال عبد العزيز بن أبي رواد - رحمه الله -:

حضرت رجلاً عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر فكان عبد العزيز يقول: "اتقوا الذنوب، فإنها هي التي أوقعته".

(٤) ادعاء المرجئة أنهم يطمعون في رحمة الله ويحسنون الظن به، وهم يكذبون لأنهم لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل وما أغفل هؤلاء المرجئة عن قول الله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٦].

التفسير: ورحمتي وسعت خلقي كلَّهم، فسأكتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه، فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين هم

بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون .

(٥) تقلب بعض الشباب والشابات في ظلمات من المعاصي بعضها فوق بعض فإذا نصحهم ناصح بالإقلاع عن هذه المعاصي والالتزام بطاعة الله أجابوا بأنهم ما زالوا صغاراً وما زال العمر طويلاً أمامهم للتوبة والعودة إلى الله وما درى هؤلاء أن الموت لا يفرق بين صغير وكبير ، فهذه قصة أربعة من الشباب: كلما سمعوا ببلد يفعل فيها الفجور طاروا إليها ، فبينما هم في ليلة من الليالي ، وفي ساعة متأخرة من الليل وهم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشياً عليه ، فهرع إليه أصحابه الثلاثة فقال له أحدهم: يا أخي ، قل لا إله إلا الله ، فرد الشاب قائلاً: إليك عني ، زدني كأس الخمر ، وتعالي يا فلانة ، ثم فاضت روحه إلى الله وهو على تلك الحالة السيئة ، نسأل الله السلامة والعافية .

ثم كان حال الثلاثة الآخرين ، لما رأوا صاحبهم ، وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون ، وخرجوا من المرقص تائبين ، وجهزوا صاحبهم ، وعادوا به إلى بلاده ، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته ، فلما نظروا إلى وجهه ، فإذا عليه كدرة وسواد – عياذاً بالله – .

(٦) اعتقاد بعض الناس أن الإسلام علاقة بين العبد وربه ولا شأن له بحياة الناس ومعاملاتهم فتجد بعض هؤلاء محافظاً على صلاته وربما كان لا يتخلف عن صلاة الجماعة ومع ذلك تجده يغش المسلمين ويتقاضى الرشوة وابنته تسير في الشوارع متعطرة متزينة متبرجة وكل ذلك ظناً منه أنه قد أعطى لله حقه ، فليفعل ما شاء في حياته إذن وما درى هذا المغرور قول الله تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة:٨٥] .

ثانيًا الغزو الفكري:

إن أعداء الإسلام لما أعياهم الغزو العسكري لديار الإسلام ورأوا صلابة المسلمين في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم وأرضهم قرروا أن يلجؤوا إلى خطة بديلة . . . خطة خبيثة تهدف إلى محو عقيدة المسلمين - هذه العقيدة التي كانت سبباً في تماسك المسلمين ووحدتهم طوال تاريخهم - ولم يكن أعداء الإسلام ليضيعوا لحظة واحدة فانطلق السم الزعاف من أقلامهم وألسنتهم يشوه عقيدة المسلمين ويهاجم القرآن والسنة النبوية ويعلن الحرب على حكم الشريعة الإسلامية ويدعو إلى التعري والإباحية باسم حرية المرأة ، فما هو الغزو الفكري؟ وما هي أسبابه؟ وما هي وسائله؟ وما هي أهدافه؟

هذا ما سنعرفه من خلال السطور القادمة راجياً من الله أن يكون هذا المبحث سبباً في إيقاظ المسلمين من غفلتهم وعودتهم إلى تعلم العقيدة الإسلامية التي بها نجاتهم - بإذن الله - في الدنيا والآخرة .

تعريف الغزو الفكري:

الوسائل غير العسكرية - كالأفكار والكلمات والآراء والنظريات والشبهات وتحريف الكلم عن مواضعه وبراعة العرض - التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك .

أسباب الغزو الفكري:

(١) العداء الصليبي للإسلام والمسلمين

لقد شن الصليبيون الحاقدون حروباً دامية على المشرق الإسلامي دامت أكثر من قرنين من الزمان وقد باءت هذه الحروب الصليبية الحاقدة بالفشل والخسران المبين حتى أن لويس التاسع قائد الحملة

الصليبية الثامنة وملك فرنسا هُزم هزيمة ساحقة ووقع أسيراً في مدينة المنصورة في مصر ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع فدية كبيرة ، فلما عاد إلى فرنسا قرر أن الغزو العسكري لا يجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم إلى الجهاد وتحضهم على التضحية بالنفس وبكل غال . فأوصى لويس التاسع أتباعه بتغيير فكر المسلمين والتشكيك في عقيدًتهم وشريعتهم وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض .

وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر .

وجاء الصليبيون - من بعد لويس التاسع - ليؤكدوا على هذا الأسلوب الجديد .

- قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر: "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم".

- قال صموئيل زويمر - رئيس جمعيات التبشير - في مؤتمر القدس للمبشرين سنة ١٩٣٥ م: "إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة ، فهو إن تعلم فللحصول على

الشهوات ، وإن جمع المال للشهوات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات . . إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات ، أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه".

- قال لورانس براون: "إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي".

(٢) الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية

لا شك أن الاستعمار الغربي الذي جثم على صدر العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى منتصف القرن العشرين تقريباً كان سبباً مباشراً في نجاح الغزو الفكري ، فالضعف الذي أصاب العالم الإسلامي نتيجة الاستعمار أدى إلى هزيمة نفسية كبيرة في أعماق كثير من المسلمين جعلتهم يلهثون وراء كل ما هو غربي وأخذوا يبتعدون عن عقيدتهم شيئاً فشيئاً فنشأت أجيال في المجتمعات الإسلامية تبدو كأشباح وظلال للغربيين فهم - وإن تسموا بأسماء المسلمين - يعيشون بنفس أسلوب وطريقة الغرب في حياتهم ومعاملاتهم .

(٣) تقدم الغرب العلمي

لا شك أن التقدم العلمي المذهل للغرب كان له من القوة والانتشار والاستيلاء ما بهر العقول وفتن الألباب وجعل المسلمين يقبلون على كل ما يأتي من الغرب وبدلاً من أن يسعوا لتحصيل أسباب هذا التقدم العلمي ، راحوا ينهلون من المذاهب الفكرية الهدامة الآتية من الغرب وأخذوا يبتلعون كل ما يلقي إليهم من الغرب من فلسفات مادية ، ونظم سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية وخلقية وكانت هذه هي الهزيمة الحقيقية للمسلمين .

(٤) تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة

لما انصرفت الأمة الإسلامية وابتعدت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل والفكر في كل ما يصلح حياة الانسان وواكب هذا الانصراف ، انحطاط في القيم ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال إلى حد السفه والترف وكان الفجور مع جهل عريض وفساد يضرب بجذوره في كل أرض ، كان كل ذلك كفيلاً بتقبل الأمة الإسلامية للغزو الفكري الذي اجتاح البلاد والعباد .

(٥) الفراغ العقدي

إن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة وهي العقيدة المثلى للإنسان والمجتمع ، رعاية للروح والجسد ، وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد في السلم والحرب ، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم ، فلما تخلت الأمة الإسلامية عن عقيدتها صارت فريسة لكل من هب ودب ، فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته .

وسائل الغزو الفكري:

وهي كثيرة من أبرزها:

١ . البعثات والإرساليات العلمية لأوروبا .

٢ . ترجمة كتب المستشرقين والمفكرين الأوروبيين .

٣ . تغريب مناهج التعليم .

٤ . تربية رجال الفكر والأدب على الأفكار الأوروبية .

٥ . تربية زعامات علمانية تقود الأمة بعيداً عن الإسلام .

٦ . تغريب وسائل الإعلام .

٧ . تحريض المرأة المسلمة على نبذ الإسلام .

٨ . فرض النظم والقوانين الوضعية بالقوة .

٩ . تدبير الانقلابات العسكرية لزرع قيادات معادية للإسلام .

١٠ . نشر المذاهب اللادينية والشعارات الهدامة مثل العلمانية والديمقراطية والليبرالية والاشتراكية والشيوعية والقومية والوطنية وغيرها .

وأنا لن أطيل النفس في الحديث عن كل هذه الوسائل ، فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب مذاهب فكرية في الميزان للدكتور علاء بكر ، وسأكتفي بالحديث عن ثلاثة وسائل فقط أعتقد أنها أسباب رئيسية للجهل الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن وأعني به بالطبع جهل الأمة بدينها:

(١) تغريب مناهج التعليم

لقد سعى الغرب بكل قوته لتغريب مناهج التعليم وحرص على بث سمومه في قلوب النشء الإسلامي الصغير حتى تنشأ أجيال تربت على موائد الغرب فتثني عليه وتنطق بلسانه ، واتبع الغرب في سبيل ذلك الطرق الآتية:

١ - إنشاء المدارس العلمانية:

قال المبشر صموئيل زويمر: "مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل لهم الالتحاق بهذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب".

وقال المبشر تكلي: "يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام

والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية"

ومن أشهر المدارس العلمانية التي أسسوها: كلية فكتوريا بالإسكندرية والجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعة الأمريكية ببيروت .

ثم استتبت الأمور للغرب أكثر وأكثر فقاموا بفتح مدارس تبشيرية نصرانية يشرف عليها مبشرون وقساوسة لتلقين الصغار مبادئ النصرانية وتعاليمها .

وللأسف الشديد أقبل كثير من الأثرياء على إرسال أولادهم إلى هذه المدارس والجامعات لأنها تعد تلاميذها لتبوأ أعلى المناصب . وكذلك أقدم عليها أبناء الطبقة المتوسطة تقليداً لهؤلاء الأثرياء وإعجاباً بنظامها المحكم الدقيق وببراعة تلاميذها في اللغات الأجنبية .

وأخطر ما في المسألة أن هؤلاء الأطفال هم خاصة المسلمين وخلاصتهم من ناحية الأسر التي ينتمون إليها ومن ناحية المستقبل الذي ينتظرهم في قيادة أمتهم تبعاً لذلك فكرياً وسياسياً واجتماعياً .

٢ - تغيير مناهج المدارس الوطنية: وتمثل ذلك في الآتي: -

(أ) ضعف الاهتمام بالتعليم الديني: حيث صارت مادة التربية الإسلامية مادة ثانوية غير أساسية لا تضاف إلى المجموع العام للطالب وهذا يدعوه إلى الاستهانة بها ويكفيه منها النهاية الصغرى للنجاح ولا تشمل هذه المادة سوى موضوعات عامة أخلاقية أو تعبدية محدودة ويدرس الطالب ويتخرج ويحصل على أعلى الدرجات العلمية وهو لا يعرف عامة الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ، ولا يدرك أن تطبيق الشريعة الإسلامية في أوضاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والجنايات والحدود من فرائض الإسلام في دولة مسلمة .

(ب) تشويه التاريخ الإسلامي وعرضه بصورة منفرة: فيصفون الفتوحات الإسلامية بأنها فتوحات غزو واستعمار ، وأن الخلافة

الإسلامية خلافة تآمر وسفك للدماء حتى صارت الصفة الغالبة على التلاميذ هي جهلهم بهذا التاريخ وأمجاده واستخفافهم به .

(ج) إحياء النعرات الإقليمية الجاهلية:

وذلك بعرضها في صورة براقة جميلة تغري بالاعتزاز بها كتاريخ الحضارة الفرعونية في مصر .

(د) عرض تاريخ أوروبا بصورة لامعة جذابة مع الإشادة بعلمائها وأبطالها لتنصيبهم كمثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين مع عرض ما عليه الحضارة الأوروبية الحديثة ومذاهبها الفلسفية .

(هـ) الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية في التعليم ، وربط الحصول على الشهادات والدرجات العلمية والوظائف الكبرى بإتقان هذه اللغات فنشأ جيل بعيد عن اللغة العربية حتى أن بعضهم ربما لا يستطيع الحديث باللغة العربية الفصحى لمدة خمس دقائق .

٣ - تقليص دور الأزهر:

فالأزهر الأن أصبح جامعة علمية تهتم في الأساس بالعلوم الدنيوية على حساب العلوم الإسلامية ، ودرست فيه القوانين الوضعية إلى جانب الشريعة الإسلامية ، بالإضافة إلي أن الطلاب أصحاب المجموع العالي في الثانوية العامة يقبلون على دخول كليات الطب والهندسة والصيدلة وتركوا الكليات الشرعية لأصحاب المجموع المتدني الضعيف مما أثمر في النهاية عن تخريج جيل من الأئمة والدعاة الضعاف - إلا من رحم الله - لم يستطيعوا أن يؤدوا دورهم في تبصير المسلمين بعقيدتهم وبما يحاك لهم من مؤامرات بل لم يعد لهم تأثير يذكر فيهم .

(٢) تغريب وسائل الإعلام:

قال أصحاب بروتوكولات حكماء صهيون:

- إن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحف قليلة غير محتفل بها وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها الأمميين عما ينفعهم ونجعلهم ينجرون وراء الشهوة والمتعة .

- ستكون كل دور النشر بأيدينا وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنساني بيد حكومتنا وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون .

* قال المستشرق الإنجليزي جب موضحاً أهمية اهتمام الغرب بالصحافة لتغريب المسلمين: "وللوصول إلى هذا التطور الأبعد الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام والسبيل إلى ذلك الاعتماد على الصحافة".

ولا شك أن لوسائل الإعلام تأثير بالغ السوء في مجتمعات المسلمين يتمثل في النقاط الآتية:

- نشر الصور العارية وإظهار الإباحية في صورة براقة لامعة لإشاعة الفساد والترويج للفاحشة .

- صرف الناس عن الإسلام عقيدةً وعبادةً وسلوكاً بإظهار الإسلام بصورة منفرة ومشوهة في أفلامهم ومسرحياتهم .

- إظهار الدعاة إلى الله بصورة سيئة بالسخرية منهم والحط من قدرهم .

- اتهام الملتزمين بسنة النبي ﷺ بالغلو والتطرف والإرهاب .

- نشر الشائعات المغرضة التي تعمل على إفساد المجتمع وجلب العداء لكل ما هو إسلامي .

- شغل الشباب بأخبار الرياضة خاصةً كرة القدم لتضييع أوقاتهم وصرفهم عما ينفعهم .

ويشارك في نشر كل هذه القبائح الصحافة والقنوات الفضائية والمحطات التلفزيونية الأرضية وعن طريق عقد الندوات والمؤتمرات ، وإلى الله المشتكى .

٣) فرض النظم والقوانين الوضعية بالقوة

إن الشريعة الإسلامية ليست مجرد حدود وتعزيزات تطبق فحسب بل هي نظام وقانون حياة متكامل فالشريعة الإسلامية نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي وجنائي فلما فرضت القوانين الأوربية مع الاحتلال وحتى بعد أن رحل الاحتلال وترك لنا أذنابه الذين يفرضون القوانين الوضعية على الناس فرضاً ، ظهرت نتائج بشعة أوقعت المجتمع الإسلامي في الموبقات المهلكة:

(أ) دور القانون الوضعي في الانحلال الخلقي

إن القوانين الوضعية القذرة أتاحت الفرصة لراغبي المحرمات ولطلاب الربح المحرم أن يغرقوا في بحر الفجور والمجون فكثر شرب الخمر وصار للخمر محلات مرخصة فالقانون الوضعي لا يعاقب على شرب الخمر ولا على السُكر ذاته ، إنما يعاقب السكران إذا وجد في الطريق العام لأن وجوده في هذه الحالة يعرض الناس لأذاه واعتدائه وليس العقاب على السكر لذاته باعتباره رذيلة ولا على شرب الخمر باعتبار أن شربها مضر بالصحة ، مذهب العقل ، متلف المال ، مذهب للأخلاق ، مناف للشريعة .

- ليس هذا فحسب ، فالقانون الوضعي يبيح الزنا إذا كان من بالغين رشيدين برضاهما ، ما لم يكن ذلك على فراش الزوجية ولا عقوبة على الزنا إلا إذا أكره أحد الطرفين الآخر .

وللأسف الشديد ، مع انتشار هذه المنكرات أصبحت في نظر بعض أوساط المجتمع أموراً عادية بل هي من قبيل الحرية الشخصية وإنا لله وإنا إليه راجعون .

روى الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ١٠٧) أن رسول الله ﷺ قال: "ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر".

(ب) دور القانون الوضعي في تخريب الاقتصاد:

قال أصحاب بروتوكولات حكماء صهيون:

"يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بأيدينا".

لما جاء الاحتلال بقوانينه أباح الربا المحرم ومع تعود الناس على البذخ والترف وارتفاع مستوى المعيشة صارت الدول الإسلامية تقترض من الدول الكافرة بفوائد ربوية باهظة حتى أصبح المسلمون لا طاقة لهم على سداد هذه الديون ، وتحت وطأة هذه الديون صار للدول الكافرة حق التدخل في سياسات المسلمين الاقتصادية والإشراف عليها والتوجيه حفاظاً على مصالح الدول الكافرة صاحبة هذه الديون .

(ج) دور القانون الوضعي في انتشار الجريمة وغياب الأمن:

فمع تعطيل العمل بالحدود الشرعية ، أصبحت الجريمة سهلة ميسورة لأصحاب النفوس الضعيفة فما أسهل أن يسرق المجرم ويقطع الطريق ويروع الناس ثم يدخل السجن فترة يخرج بعدها وقد أصبح من عتاة المجرمين .

(د) دور القانون الوضعي في إضعاف العمل بالإسلام:

مع تغلغل القوانين الوضعية في المجتمعات الإسلامية ، أصبحت مصالح الناس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها فصار الناس يلجؤون إلى خبراء هذه القوانين للسؤال عن الأحكام الخاصة بفض منازعاتهم وهكذا أقصيت الشريعة الإسلامية وأصبح دورها هامشياً في حياة الفرد والمجتمع .

أهداف الغزو الفكري:

قال الدكتور أحمد السايح في كتاب الغزو الفكري في التصور الإسلامي: إن هذا الغزو الفكري الذي يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف إلى:

١ . أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها . . تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة التي يحمى بعضها بعضاً ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح التي تهم أي طرف من أطرافها .

٢ . أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصاً ، والعالم النامي عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة ، تبعية غير منظورة ، وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها ، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال ، بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية . وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية .

٣ . أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص ، وتأمل دقيق ، مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها ، وتبديد لمستقبلها ، فضلاً عما في

ذلك من صرف عن منهجها وكتابها ، وسنة رسولها ﷺ ، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع ، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان .

٤ . أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم ، وتخرج بهم إلى الحياة ، وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً ، هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً ، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك ، فيحسبون أنهم بذلك على الصواب ، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر ، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب .

٥ . أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ، ليحل محل ذلك تاريخ الدول الكبيرة الغازية ، وسير أعلامها وقادتها .

٦ . أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب ، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها .

٧ . أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية ، وعاداتها وتقاليدها .

٨ . تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد ، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده .

٩ . إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق

بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم ، والتركيز على دعوات الحركات الباطنية ، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ، ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً وفلسفة عميقة .

١٠ . إضعاف مثل الإسلام وقيمة العليا من جانب ، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر .

١١ . تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري ، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها .

١٢ . إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم

١٣ . اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً .

١٤ . تقديم العقل علي النقل حتي يتسني للعقول المريضة أن ترفض ما شاءت من النصوص الشرعية .

١٥ . تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية ، من الإيمان بالله ، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس .

وهكذا يا إخواني سرى داء الإرجاء والغزو الفكري في أوصال الأمة الإسلامية حتى مرضت وضعفت وأصبحت تعيش في ظلمات من الجهل بعضها فوق بعض .

إن مَن حال جهله بينه وبين بلوغ الحق وهو دين الله تعالى فهو لا

يتعلمه بل يعرض عنه ، فقد عطل ما وهبه الله تعالى له من وسائل تحصيل العلم والمعرفة ولذا فقدر هؤلاء في دين الله أقل من قدر الأنعام التي لا تعقل .

قال تعالى: ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ [الفرقان:٤٤] .

فحرى بكل مؤمن أن يدرك قدر نعمة العلم بالله تعالى والإيمان به ويسعى في تحصيل العلم النافع ولا يدخر جهداً في سبيل ذلك .

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

* * *

المبحث الثاني:
الأحاديث الضعيفة والموضوعة

تعريف الحديث الضعيف: (كل ما نزل عن مرتبة الحديث الحسن فهو الضعيف، وأقسامه كثيرة، ذكر الحافظ ابن حبان أنها تسعة وأربعون نوعاً وهذه الأنواع تختلف في أسباب الضعف:

فمنه: ما يكون ضعفه بسبب سقط في إسناده، كالمعضل، والمعلق، والمرسل والمدلس والمعنعن والمنقطع.

ومنه: ما يكون ضعفه بسبب حال رواته كالمنكر، والموضوع وغير ذلك).

ملاحظة: الحديث الموضوع هو الحديث المكذوب على النبي ﷺ.

إن الأحاديث الضعيفة والموضوعة من أخطر الآفات والعوائق التي تحول بين المسلمين وبين متابعة السنة، إن حب الناس للنبي ﷺ دفع بعضهم لقبول ما يروى عنه دون تثبت، لاسيما إذا خاطب عواطفهم ومشاعرهم، ورتب على قليل الفعل جزيل الأجر.

وهذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة قد تركت آثاراً سيئة على الفرد والمجتمع كالتفرقة بين المسلمين، وإلغاء قواعد في أصول الفقه، وإيقاع المسلمين في الشرك، ورد الحديث الصحيح، وغيرها من الآثار السيئة.

أسباب انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين الناس

(١) قلة علماء الحديث في هذا العصر.

(٢) انتشار وسائل النشر والتوزيع التي تطبع الكتب وتغرق الأسواق بآلافٍ من الكتب التي فيها الشيء الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

(٣) كثرة ترديد الأحاديث الضعيفة والموضوعة علي ألسنة الخطباء والدعاة - وذلك لقلة حظهم من علم مصطلح الحديث - إلا من رحم الله من طلبة العلم الذين يتحرون الصحة فيما ينسبونه إلى رسولهم ﷺ .

(٤) بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة تستدر عواطف الناس وتستجلب شفقتهم مثل:

- (إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن يقول: من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والديه تحت الثرى ، من أسكته فله الجنة) .

هذا الحديث المكذوب الموضوع في رحمة اليتيم قد يؤثر في عواطف الناس ، فيندفعون بعواطفهم لتقبل هذه الأحاديث ، وتلقفها والعمل بها ، لأنه شيء عاطفي يؤثر في النفس ، ولكن ما درى أولئك المساكين أن هذا كلام مكذوب على الرسول ﷺ ، وأن في سنة الرسول ﷺ أحاديث تؤثر في القلب ، فلماذا لا يعملون بها؟!!

(٥) أهل البدع الذين لم يترددوا في الكذب علي رسول الله ﷺ بما يعضد بدعتهم ، وكذلك الزنادقة الذين يضعون الأحاديث لهدم الإسلام .

آثار انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين الناس:

قال الشيخ محمد صالح المنجد في هذا الموضوع ما فحواه:

(١) عدم تقبل الناس للأحاديث الصحيحة بعد سماعهم للأحاديث الضعيفة .

من الآثار السيئة لهذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة: أن في كثير منها أجوراً خيالية! من فعل كذا فله ألف حسنة وألف قصر في الجنة ، وفي كل قصر ألف خيمة ، وفي كل خيمة ألف حورية ، وعلى كل حورية ألف حلة من ذهب!! وفي المقابل أحاديث العذاب: من فعل كذا

وكذا وكذا وضع في تنور من نار فيه ألف فرن ، في كل فرن ألف أفعى ، في كل أفعى ألف لسان ، في كل لسان ألف نوع من أنواع السم يقرصه صباحاً ويلدغه مساءً وهكذا! مع استمرار الكلام في هذه الأشياء وطرق مثل هذه الأحاديث الخيالية يتعود الناس على المبالغة مما يعكس أثراً سيئاً وهو أنهم لا يتقبلون أحاديث صحيحة كحديث - على سبيل المثال -: (ويلٌ لمن فعل كذا) لأن كلمة ويل صارت بالنسبة للأحاديث التي فيها ألف ألف كذا وكذا شيئاً قليلاً ، فصاروا لا يتأثرون ، فلابد أن تأتي بحديث فيه ألف ألف كذا ، وعشرة آلاف كذا ، ومائة ألف كذا حتى يتأثر ، وهذه من إحدى السلبيات لانتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

(٢) إيقاع المسلم في الشرك:

من الآثار السيئة لهذه الأحاديث: إيقاع المسلم في الشرك الصريح ، والكفر المخرج عن الملة ، والردة عن الدين ، والعياذ بالله مثل حديث: (من اعتقد أحدكم بحجرٍ لَنفَعه) لو اعتقدت أن هذا حجر يضر وينفع لنفعك ، لا يوجد حجر ينفع! إن في هذا إرجاعاً للمسلمين إلى الجاهلية الأولى ، إلى عبادة الأحجار ، والأوثان .

(٣) إيقاع الناس في قضايا تنافي التوحيد مثل:

- صرف للناس عن التوسل المشروع إلى التوسل غير المشروع .

فبدلاً من أن يقول الواحد مثلاً: يا الله! إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، المنان ، بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام! ويسأل الله ، يأتيه هذا الحديث ، مثلاً: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) ونأتي نقول: نسألك بحق الأنبياء ، نسألك بجاه محمد ، نسألك بكذا وكذا ، وهذا حديث لا يصح ، ومع اعترافنا بأن جاه الأنبياء عظيم لكننا لانعبد الله إلا بما شرعه في

كتابه أو في سنة نبيه ﷺ وقد بين لنا رسول الله ﷺ توسلاتٍ مشروعة مثل التوسل بأسماء الله الحسني وصفاته العلي ، ولكن هذه الأحاديث لا تدع الناس يلجؤون إلي التوسل المشروع بل تصرفهم إلى الشيء غير المشروع .

- التشاؤم بالأزمان والتطير بها: (لا تسافر والقمر في العقرب) إذا صار القمر في برج العقرب فلا تسافروا فهذا السفر سيء ، ولا تسافروا لأن نتائجه سيئة .

علي بن أبي طالب لما ذهب لقتال الخوارج ، عرض له أحد المنجمين فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسافر فإن القمر في العقرب ، قال: [بل أسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيباً لك] وسافر فظفر على الخوارج وانتصر عليهم .

أو حديث: (من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة) لأنهم يتشاءمون بشهر صفر ، فهي أحاديث مكذوبة توقع الناس في المحظور .

- زرع مفاهيم خاطئة عن الإيمان في نفوس الناس مثل: مفهوم المرجئة للإيمان ، كالحديث المكذوب: (من قال الإيمان يزيد وينقص فقد خرج من أمر الله) (ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس له في الإيمان نصيب) كما لا ينفع مع الشرك شيء فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء ، فالناس يعتقدون أن الإيمان في القلب ، وأن العمل غير مهم ، لماذا؟ لهذه الأحاديث .

ولذلك مرة قلت لرجل: يا أخي! اتقِ الله قم صل الصلاة ، لماذا لا تصلي؟ فأشار إلى قلبه ، وكان هذا هو الجَواب ، لأنه يعتقد أنه يكفي أن يكون الإيمان في القلب ولا داعي للعمل!

- الغلو في الأنبياء ورفعهم فوق المقام الذي أنزلهم الله عز وجل إياه مثل حديث في تعظيم الرسول ﷺ ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله

فيها كحديث: (لولاك ما خلقت الأفلاك) لولاك يا محمد! ما خلقت الأفلاك، حديث مكذوب، وهو يعني أن الله لم يخلق السماوات والأرض ويخلق الناس، لولا محمد ﷺ، وهذا ينافي القرآن الكريم، أو حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) وهكذا.

(٤) التشنيع على أهل الحديث:

فاختلق بعض الزنادقة أحاديث ليشوهوا سمعة أهل الحديث، مثل حديث: (إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها فعرقت فخلق نفسه من هذا العرق) تعالى الله عما يقولون عنه علواً كبيراً، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، ومثل الأحاديث التي يروونها من أن الله ينزل يوم عرفة إلى الموكب فيصافح الناس المشاة والركبان سبحان الله العظيم! لماذا وضعوها؟! وبعضهم يعرف أن العامة لن تتقبل هذا الكلام لكن ليقولوا: انظر إلى أهل الحديث ماذا يروون!!

(٥) الطعن في الأنبياء: نسبة ما لا يليق إلى الأنبياء والتشنيع عليهم منتشرة ومبثوثة الآن في كتب السير، أو بعض التفاسير فمن ذلك: أن داود عليه السلام أعجب بزوجة أحد جنوده فأراد أن يتزوجها، فلكي يتخلص منه أرسل به في ميدان من ميادين القتال ليموت ويتزوج المرأة، هل يمكن أن نبياً من الأنبياء يعمل هذا العمل؟ ماذا يعتقد الناس عن داود عندما يسمعون بهذا الحديث؟!!

(٦) تعليم الناس ما لم يثبت، فمن ذلك:

- مثلاً في حفظ القرآن الكريم: أكثر الناس يتفلت منهم القرآن ويحتاجون إلى مراجعته دائماً، ومع ذلك فهو يتفلت، فيريد الناس وسيلة سهلة لحبهم السهل، يقول: المراجعة شيء صعب، كل يوم مراجعة! ما هو الحل؟ يأتيك الجواب، والله - يا أخي! - يوجد حديث

يجعلك لا تنسى القرآن ، ما هو هذا الحديث؟ يقول: يا أخي! يقول الرسول ﷺ : (إذا جاءت ليلة الجمعة فصل أربع ركعات واقرأ في الأولى الفاتحة ويس ، وفي الثانية الفاتحة والدخان ، وفي الثالثة الفاتحة والسجدة ، وفي الرابعة الفاتحة وتبارك ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وقل كذا وكذا لا تنسى ما حفظته) فالناس يريدون هذه الأشياء ، يريدون شيئاً سهلاً يوفر عليهم تعب المراجعة ، فيقوم المسكين فيعمل بهذا الحديث

- مثلاً حديث مسح العينين بباطن الأنملة من السبابتين عند قول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، تجد بعض الناس يفعل هذا ، فهل ثبت هذا الكلام عن رسول الله ﷺ ؟ إذن كيف نعمله؟! كيف نستبيح لأنفسنا أن نعمل أشياء في العبادات لم تثبت عن الرسول ﷺ ، أو أن ندعو بما لم يثبت من الأدعية الواردة والأذكار ، إذا قامت الصلاة قالوا: أقامها الله وأدامها ، إذا قال: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة:٥] قالوا: استعنا بالله ، إذا توضأ ، قالوا: زمزم ، إذا فرغ من الصلاة ، قالوا: تقبل الله ، وإذا قالوا: حرماً ، قال: جمعاً ، أين وردت هذه؟!! ولو جئت الآن تقول: لا .

فيقول: كيف؟ أنا أدعو له أن يصلي في الحرم وأن يتوضأ بماء زمزم ماذا في ذلك؟! فيها أنك الآن تبتدع في الدين ، وأنك تقول أن الدين غير كامل ، وأن الرسول ﷺ ما عمل الأفضل ، وجئنا الآن واكتشفنا الأفضل فنحن نعمل به!!

- الأحاديث في فضل الأزمان والأماكن: من فعل كذا في رجب حصل له كذا وكذا ، وصيام يوم سبعة وعشرين من رجب ، وقيام ليلة خمس عشرة من شعبان ، ولا بد أن يصام عند العامة ولا يمكن تركه! من أين جاء هذا؟! لا يوجد مستند شرعي لهذا الكلام .

- شم الورد ما سلم من الأحاديث الموضوعة المكذوبة: (من شم الورد الأحمر ولم يصل علي فقد جفاني) (من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر) الآن - بالمناسبة - عند بعض الناس إذا أتيت بالبخور ودرت به على المجلس قال: اللهم صل على النبي! فصارت هذه الآن ذكراً محدداً بوقت معين وهو عند البخور! اخترعنا الآن ذكراً محدداً عند شيء معين، عندما يأتي البخور يقول: اللهم صل على محمد، وقد يكون هذا من هذا.

- اختراع أصول في الجزاء والحساب ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يمكن أن الله يحاسب الناس بناءً عليها: (إن الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه) أي أنه: إذا وجد شخص خلقته جميلة فهذا نجاة له من العذاب! (عليكم بالوجوه الملاح فإن الله يستحي أن يعذب وجهاً مليحاً بالنار) فهل هذا المقياس من الممكن أن الشريعة تأتي به؟ شخص ينجو من النار لأن وجهه جميل ولو كان أكفر الناس وأبعدهم عن الشريعة وعن العبادة؟! ومن المعايير الأخرى أيضاً في الحساب: (آليت على نفسي ألا يدخل أحدٌ اسمه محمد أو أحمد النار) فقط لأن اسمه محمد أو أحمد!! لا يدخل النار! أيمكن هذا الكلام؟! ليست القضية قضية أسماء، لأن من المنافقين من الذين ينتسبون للإسلام ويتكلمون بألسنتنا من اسمه عبد الله، وعبد الرحمن ومحمد وأحمد، ولكنهم يمكن أن يكونوا أشد خطراً على الإسلام من جورج وجوزيف إلى آخره، نعم يوجد هذا، وإذا شئتَ فاقرأ عن عبد الله بن أبي بن سلول وعبد الله بن سبأ، من أخطر المنافقين في التاريخ الإسلامي.

- اختراع أحكام فقهية في الإمامة: (يؤم القوم أفقههم بكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا بالسنة سواء فأحسنهم وجهاً) يعني: إذا تساووا نقدم أحسنهم وجهاً، وماذا بعد إلا أن نحول المسجد إلى مسابقة جمال ووجوه، ثم انتخاب ثم ننتخب،

واللجنة ، والأصوات حتى نخرج أجملهم ثم يصلي بالناس ، قبح الله ذلك فعلاً ، وهذا موجود وإن لم تكونوا قد سمعتم به فهناك أناسٌ يعملون به ، ويتفقهون على هذه الأشياء المبثوثة في المذاهب من الأحاديث الباطلة .

(٧) احتقار النساء ، مثل حديث: (لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة) ، أو حديث (شاوروهن وخالفوهن) هناك شخص كان دائماً يستشير زوجته تقول كذا فيفعل هو العكس ، في يوم من الأيام تضايقت وقالت: أنت يا فلان! تأخذ بخلاف مشورتي ، قال: أنا عندي حديث (شاوروهن وخالفوهن) .

(٨) تأصيل أصول مخالفة للشريعة:

- أحياناً تأتي الأحاديث الضعيفة والموضوعة بتأصيل أصول مخالفة للشريعة مثل حديث: (اختلاف أمتي رحمة) هذا الحديث من آثاره السيئة: أنه يقضي على كل محاولة للوصول إلى الحق ، لأنه مثلاً إذا وقع خلافٌ علمي بين واحد وآخر هذا يرى شيئاً وذلك يرى شيئاً آخر ، فإن المفروض في هذه الحالة المباحثة والمناقشة العلمية المؤدبة على طريقة السلف حتى نصل إلى الحق ، لكن عندما يأتي حديث: (اختلاف أمتي رحمة) إذن: ليطمئن كل إنسان فكل الناس بخير ، كل الآراء الفقهية - الحمد لله - صحيحة ، أنت على صواب وهو على صواب ، رحمة من الأصل!!

قد تكون بعض الآراء ضعيفة متهافتة باطلة لا يمكن أن تكون صحيحة ، وكيف يكون الاختلاف رحمة والله عز وجل ذم الاختلاف في القرآن الكريم ، فقال: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** ﴾ [هود:١١٨ - ١١٩] .

فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون ، وإنما يختلف أهل الباطل

فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟!!

- كذلك من هذه الأصول الباطلة: وضع أصول في قبول الروايات غير الأصول الشرعية المعتمدة كحديث: (أصدق الحديث ما عطس عنده) إذنً: لو جاء حديث عن الرسول ﷺ ولما ذكر هذا الحديث عطس رجل من الحاضرين فهذا دليل على صحة الحديث عجيب! سبحان الله! كيف يكون دليلاً على صحة الحديث، ولو عطس مائة رجل عند حديث مكذوب لا يمكن أن نجزم بنسبته إلى رسول الله ﷺ.

(٩) إفساد الأخلاق:

التشجيع على أمورٍ من المفاسد، مثل:

- (من عشق وكتم فمات مات شهيداً) يشجع الناس على العشق، والعشق باختصار هو: أن تحب إنساناً مع الله أو أكثر من الله عز وجل، شرك بالمحبة بحيث يسيطر ذكر المعشوق على العاشق فيلهيه عن الصلاة وعن ذكر الله عز وجل، وعن كل شيء حتى عن الأكلٍ والشرب، ولكن الحديث يقول: (من عشق وكتم فمات مات شهيداً)، المشكلة أيضاً (مات شهيداً) فوضعت هذه الشهادة - المرتبة العظمى - لمن يعشق، إذن العشق حسن.

وهكذا، تنسف تلك الأحاديث الضعيفة المكذوبة الأخلاق والفضيلة، وتغرس الرذيلة في نفوس البشر الذين يستمعون إليها ويطبقونها.

- ومن الآثار السيئة أيضاً في الأخلاق: أن بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة لها آثار سيئة في عدم تغيير الخلق السيء وتبديله، كل إنسان فيه أخلاق سيئة وطبائع غير جيدة، والحل أن يجاهد نفسه حتى يبدل الخلق السيء بخلق طيب، لكن عندما يأتي حديث: (الحدة تعتري خيار أمتي) (الحدة تعتري حملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم)

لو أن إنساناً حاد الطبع يغضب بسرعة وينفعل فإنه عندما يسمع هذا الحديث: (الحدة تعتري خيار أمتي) (وحملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم) ماذا يعمل الحديث هذا وما هو مفعوله في النفس؟ إنه على الأقل يجعلك حادًّا .

(١٠) تغيير سنة النبي ﷺ :

إن تغيير سنة النبي ﷺ أثر من آثار الأحاديث الضعيفة والموضوعة مثل حديث: (كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها) لحية الرسول ﷺ كانت أوفر ما يكون ، وأجمل ما يكون ، وأمر عليه الصلاة والسلام بإعفاء اللحى ، ولكن يأتيك هذا الحديث: (كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها) فيأتي إنسان يقص ، لماذا تقص لحيتك يا أخي؟ الرسول ﷺ أمر بإعفاء اللحية! قال: لا ، عندي دليل . قلت: ما هو؟

قال: (كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها) لا يمكن يا أخي! أن الرسول ﷺ يأمر بإعفاء اللحية ثم بعد ذلك هو نفسه عليه الصلاة والسلام يخالف أمره فيذهب يقص منها ، هذا لا يمكن!

قال أحدهم: الرسول لم يكن يحلق لحيته لأنه لم يكن عنده موسي ، أي أنه لو كان عنده موسي لحلق لحيته ، وأجابه أحد الحاضرين ، قال: يا أخي! الرسول كان عنده سيف طويل ولو أراد أن يحلق لفعل ، ما هذا الكلام؟! والموسي كانت موجودة في زمن الرسول ﷺ ، لحديث: «**إِذَا دَخَلْتَ لَيْلًا فَلَا تَدَخُلْ عَلَى أهلك حَتَّى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة**» ، وحديث أبي هريرة عند البخاري وفيه: «**فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ عِيَاضٍ، أَنَّ بِنْتَ الحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ**» .

(١١) إلغاء قواعد في أصول الفقه:

من آثار الأحاديث الضعيفة والموضوعة: إلغاء قواعد في أصول الفقه، نحن نعلم أن القرآن والسنة والإجماع من مصادر الأحكام الشرعية، وكذلك إذا كان القياس صحيحاً فيؤخذ منه الحكم الشرعي فيأتي هذا الحديث مثلاً: (من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك) ما هي النتيجة؟

إلغاء هذا البند من أصول الفقه، وعدم الاستفادة من القياس إطلاقاً.

(١٢) التفرقة بين المسلمين:

ومن الآثار السيئة: التفرقة بين المسلمين، وذم بعض الأجناس أو الألوان، ومخالفة قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣] كحديث: (دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه) يقول: الأسود فقط همه البطن والفرج، سبحان الله! ألم يكن من صحابة الرسول ﷺ بلال بن رباح؟ أو ما كان عطاء رضي الله عنه من كبار علماء مكة وكان يخضع له الملوك والخلفاء ويأتونه ويستفتونه؟ إذن: هذه الأحاديث التي تفرق شمل الأمة، وتفضل أجناساً على أجناس، وعرقاً على عرق إنما هي من مفرزات الجاهلية فصيغت بهذه الأحاديث الموضوعة.

(١٣) الطعن في الصحابة:

وكثير من الناس الآن يعرفون الحديث الذي فيه أن الصحابي ثعلبة بن حاطب طلب المال وكسب المال وخرج من المدينة وفوت صلاة الجمعة والجماعة، وأنه بعد ذلك أراد أن يتوب فلم يقبل منه عليه الصلاة والسلام الزكاة، وأن أبا بكر لم يقبل منه الزكاة ولا عمر، وعندما تراجع الحديث تجد أن سنده ضعيف وأن ثعلبة بن حاطب

رضي الله عنه بريءٌ من هذا الكلام ، وأنه صحابي جليل كانت له مواقف محمودة ، وقد يكون الأمر أخطر من ذلك عندما يُدخَل في قضية الصحابة بعض الأشياء المتعلقة بهم مثل بيعة أبي بكر رضي الله عنه يدخل فيها أهل الأهواء ، فمثلاً يأتي حديث موضوع: (أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب: أتعلم من بايع أبا بكر الصديق ، فيقول: من هو؟ فيقول: بايعه شيخٌ متوكئٌ على عصا فيقول علي: نعم ذاك إبليس فقد أخبرني ﷺ أن أول من بايع أبا بكر رجلٌ متوكئٌ على عصاً ، شيخ من مكان كذا ، وأن هذا إبليس متنكر يكون أول من يبايع أبا بكر رضي الله عنه) فهذا من تشويه سمعة الصحابة رضوان الله عليهم .

(١٤) إعانة المستهترين على الاجتراء على الله بالمعاصي ، والابتداع في العبادة ، ومخالفة السنة ، مثل:

- حديث: (إنما حر جهنم على أمتي كحر الحمَّام) فإذا كان حر جهنم على أمة محمد ﷺ مثل حر الحمام فما الذي يمنع الناس أن يرتكبوا المعاصي ، إذا كانت النهاية هي عبارة عن حمام ساخن؟ فإذن: هل بعد هذا القبح وبعد هذه الآثار السيئة من شناعة ، وآثارٍ تدفع الناس إلى الوقوع في المعاصي والجرأة على الله عز وجل؟!

- الابتداع في العبادة ، فمثلاً الحديث الضعيف: (ما زال رسول الله ﷺ يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا) ولذلك تجد بعض الناس مواظباً على القنوت في صلاة الفجر ، لماذا يا أخي؟ فيها أحاديث ، هل بحثت في هذه الأحاديث فعرفت صحتها؟ أبحثت في سندها؟ ومن الذي صححها من العلماء؟ وهل تعلم أن رسول الله ﷺ كان لا يقنت إلا إذا نزلت نازلة بالمسلمين كما قنت لما قتل القراء في بئر معونة فظل يدعو على من قتلهم شهراً ، فإذا نزلت النازلة قنتوا وإذا لم يكن هناك نوازل لم يقنتوا ، فلا يشرع للإمام أن يقنت .

- وكذلك إضافات في العبادات مثل: إضافة مسح الرقبة في الوضوء، ألم تروا أناساً يمسحون رقابهم عند الوضوء؟ فهذه الزيادة في الوضوء من أين أتت؟ أصلها من هذا الحديث الموضوع: (من توضأ ومسح عنقه لم يغل بالأغلال يوم القيامة) انتهى الأمر! كل واحد لا يريد أن يغل بالأغلال يوم القيامة فما عليه إلا أن يمسح، مع أن المسح غير وارد، ولم يثبت عن الرسول ﷺ أنه مسح رقبته.

- مخالفة السنة: (كان يأكل بكفه كلها) حديثٌ باطل، والرسول ﷺ كان يأكل بثلاثة أصابع، فهذا مخالف لهديه ﷺ في طريقة الأكل.

- مساواة المسلمين بأهل الذمة مثل حديث: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وهو حديث باطل لا أصل له كما قال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة.

- (من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له) قضاء على سنة رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه.

- (نسخ الأضحى كل ذبح) انتهت القضية فلا عقيقة ولا غيرها من الذبح!

- حديث جذب الرجل من الصف، إذا أتيت ولم تجد لك مكاناً تجذب رجلاً، غير صحيح والحديث الذي فيه ضعيف والناس يطبقونه.

- وحديث (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) لا بد من الزيارة لكل من أراد أن يحج، ولو ما زار فحجه باطل، أو ناقص إلى آخره.

- حديث: (من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته) ونحن نعلم أن كثرة الحركة في الصلاة مذمومة، لكن أحياناً توجد أسباب معينة يجوز معها الحركة في الصلاة بيَّنها أهل العلم، وأنا أذكر

الآن مثالاً فيه فائدة فقهية: لو أن إماماً في صلاة سرية يؤم الناس قرأ في الركعة الرابعة مثلاً التشهد بدلاً من الفاتحة ، وهو في التشهد الأخير تذكر أنه قرأ التشهد ماذا يفعل هذا الإمام؟ الواجب أن يزيد ركعة ، فإذا قام ليأتي بالركعة الخامسة فالناس يستغربون ما هي هذه الركعة؟ زائدة! خامسة! هل يجوز أن يقوموا أصلاً؟ لا يجوز للناس أن يقوموا بل يجلسوا ويسبحوا ، وإذا أصر يجلسون وينتظرونه حتى يجلس ويسلم فيسلمون معه أو يفارقونه ، لكن هذا الإمام ما أخطأ ولا نسي في القيام للخامسة بل قام عامداً لأنه لا بد أن يأتي بركعة فماذا يفعل الإمام لكي ينبه الناس هل يقول إني أنا يا جماعة ما قمت إلى الخامسة نسياناً ولا ذهولاً ، وإنما قمت عامداً ، وأنا أرجو أن تقوموا معي!! إذن ماذا يفعل؟ يشير بيده لمن خلفه إشارة معناها: أن قوموا ، أنا أؤكد أن هناك سبباً في هذه الخامسة ، لست ناسياً .

فإذن: هذه الحركة صارت لها حاجة في الصلاة ، فلما يأتي هذا الحديث: (من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته) ماذا يكون الموقف؟!!

(١٥) تحليل الحرام مثل:

- جواز مصافحة الرجل المرأة الأجنبية بحائل: بعض الناس يقول: أنا لا أصافحها مباشرة بل أصافحها من وراء حائل ، أي أمسك طرف العباءة وأصافح ، هذا غير صحيح ولا يجوز لا مباشرة ولا من وراء حائل ، ويفعلونه لهذا الحديث الضعيف: (كان يصافح النساء وعلى يده ثوب) وهو لم يثبت ، بل إن الذي ثبت أنه عليه الصلاة والسلام ما مست يده يد امرأة أجنبية قط .

- مشروعية الرقص والتواجد عند الذكر ، ويخترعون لذلك أحاديث كحديث: (ليس بكريمٍ من لم يتواجد عند ذكر الحبيب) إذا ذُكر

النبي ﷺ فلم يقم من سمعه يرقص ويتواجد فليس بكريم .

(١٦) إلقاء الشك والريبة بين المسلمين:

- (احترسوا من الناس بسوء الظن) أي أن الزمان قد فسد الآن فلابد أن تسيء الظن في كل واحد ، تأخذ احتياطك منه فتفترض في الأصل أنه سيء فتسيء الظن به ، فتكون النتيجة أن كل مسلم ينظر لأخيه بمنظار أسود ، أكيد أنه يريد أن يؤذيني! أكيد أنه يريد أن يفعل بي كذا! يريد بي شراً! وهكذا .

(١٧) نشر الخرافات بين المسلمين ، مثل:

- من الخرافات العجيبة (إن الله أعطاني نهراً يقال له الكوثر في الجنة لا يدخل أحدٌ أصبعه في أذنيه إلا سمع خريره) يعني: إذا أدخلت أصبعك في أذنيك فإنك تسمع خرير نهر الكوثر ، ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، الآن بمجرد ما نضع أصابعنا في آذاننا فإننا نسمع خرير نهر الكوثر!

- وكذلك اعتقادات خاطئة مثل (من طنت أذنه فليقل: ذكر الله بخير من ذكرني) هذا منتشر بين الناس ، لو طنت أذن واحد يقول: أكيد الآن أن واحداً في مشارق الأرض أو مغاربها يذكرني ويأتي بسيرتي ؛ ولذلك الآن طنت أذني فيقول: (ذكر الله بخير من ذكرني) ليس بصحيح هذا الحديث ، وهذا اعتقاد خاطئ ، فطنين أذنك - يا أخي - قد يكون مرضاً جعل الأذن تطن .

- هذه الخرافات أحياناً لو اطلع عليها بعض الناس الذين يريدون الدخول في الإسلام - والله! - قد تكون عائقاً في دخولهم الإسلام مثل حديث: (هل تدرون ما يقول الأسد في زئيره ، قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: يقول: اللهم لا تسلطني على أحدٍ من أهل المعروف) ، وحديث: (إن الله لما خلق الشمس جعل لها تسعين ألف ملك يرمونها

بالثلج كل يوم ولولا ذلك لاحترق الناس) الآن يرمونها بالثلج لكي تبرد ، أهذا كلام؟!

- استحباب لبس بعض الثياب وتفضيل بعضها على بعض: (من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها) وذلك لقول الله عز وجل ﴿ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ [البقرة:٦٩] سبحان الله العظيم! صفراء فاقع لونها يا أخي! قضية البقرة وموسى وبني إسرائيل ، أخذوها وجعلوها على لبس النعل الصفراء .

- الأحاديث الموضوعة في فضائل الأطعمة ما أكثرها (اجعلوا في موائدكم البقل فإنه يطرد الشياطين) (إن الله تعالى يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له) (عليكم بالقرع فإنه يزيد بالعقل) (عليكم بالعدس فإنه مبارك ويرق القلب ، ويكثر الدمع ، وقد قدس على لسان سبعين نبياً) (شكا نبيٌ من قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل) إلى آخر هذا الهراء ، ومنها: (إذا كتبت فضع القلم في أذنيك فإنه أذكر) يعني أن هذا يقوي الذاكرة إذا وضعت القلم على أذنك ، اعتقادات ليس لها أصل ولا دليل بل هوس وهراء .

- بعض الناس يشيع عندهم إذا كانت المرأة تسقط دائماً الجنين حديث: (يا رسول الله! إني امرأة لا يعيش لي ولد فقال: اجعلي لله عليك أن تسميه محمداً ففعلت فعاش ولدها) فصار بعض الناس الآن إذا صارت امرأته دائماً تسقط يقول: لله علي نذر أن أسميه محمداً لكي يعيش .

(١٨) تحريم الحلال ، مثل:

- التضييق على الناس في أمور من المباحات: بعض الناس يرجع من عمله الساعة الثانية والنصف تعباً مرهقاً يصلي ويتغدى ، فلا يجد فرصة للراحة والنوم إلا بعد العصر فيأتيه حديث: (من نام بعد العصر

ففقد عقله فلا يلومن إلا نفسه) فماذا يفعل؟!!

- إنسان لا يمكن أن يعيش مع زوجته أكثر من ذلك لوجود مشكلة بينه وبين زوجته، الطلاق في بعض الأحيان هو الحل الوحيد، فيأتي حديث: (تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش) مهما كانت سيئة خلق؟! مهما كان عدم التوافق موجوداً؟! لا يمكن أن يطلق فكيف يعيش الزوج؟! يعيش في جحيم.

- تحريم أشياء من المباحات: واحد يريد مثلاً أن يتزوج، شاب يحتاج للزواج، فيأتيه حديث: (من تزوج قبل أن يحج فقد بدأ بمعصية) سبحان الله! كيف يكون إعفاف الرجل نفسه وإحصانه فرجه سبباً للمعصية؟ هل هذه معصية؟! من قال ذلك؟!!

(١٩) فتح باب العمل بالأحاديث الضعيفة في الفضائل على مصراعيه:

(من بلَغه عن الله فضلٌ فأخذ بذلك الفضل الذي بلغه؛ أعطاه الله ما بلغه وإن كان الذي حدثه كاذباً) سبحان الله! يعني: لو جاء أحد يقول حديثاً ضعيفاً أو موضوعاً في فضائل الأعمال وأنت أخذت به فلك الفضل حتى لو كان ذلك كذباً، هذا معنى الحديث.

(٢٠) الأحاديث الضعيفة والموضوعة تحول بين الناس وبين الالتزام بالإسلام:

- مثلاً: يأتي إنسان إليك ويقول لك: (نية المؤمن خيرٌ من عمله) فإذن النية أحسن من العمل، إذن العمل شيء ثانوي والنية هي الأساس، فأنا يمكن أن تكون نيتي طيبة ولا أعمل، والدليل على ما أقول: هذا الحديث. فإذا نظرت إليه وجدته حديثاً باطلاً لا يصح عن الرسول ﷺ.

- (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) رجل فيه

فسق لكنه يريد أن يصلي ؛ لكن المشكلة الآن أنه فاسق ؛ فينظر إلى هذا الحديث: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) أو (لم يزدد من الله إلا بعداً) فيقول: لا أصلي ، فأحد الإخوان قال لي: أنا ضللت ستة وعشرين عاماً لا أصلي بسبب هذا الحديث ، كنت واقعاً في بعض المنكرات ولكني أريد أن أصلي مع أني واقع فيها ، وكلما جئت أصلي أتى هذا الحديث أمامي: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) فيقول: لماذا أصلي؟ وهذا الحديث منكر باطل ، ولا يثبت عن الرسول ﷺ .

- أحدهم يأتي يشيع على ألسنة الناس حديث: (السارق من السارق كالوارث من أبيه) هذا سمعته في أحد المجالس ، أي: المسألة معناها أن كل أحد يبحث له عن سارق ويسرق منه ؛ لأنه كالوارث من أبيه ، أي: أصبحت القضية لها مستنداً شرعياً ، صارت هذه أحد الأوجه التي يتملك فيها الإنسان المال من طريق شرعي ، لأن السارق من السارق كالوارث من أبيه ، وهذا حديث غير معروف ولا مشهور وليس له أصل ، بل وضعه بعض العامة ، فاشتهر بينهم على أنه حديث ، وقس على ذلك أحاديث كثيرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنتشرة التي ذاقت الأمة الإسلامية بسببها الويلات .

* * *

المبحث الثالث:
التقليد الأعمى وتتبع الرخص

كثيراً ما كنت أحزن عندما أسمع من بعض الناس رأياً فقهياً مخالفاً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما ما كان يحزنني أكثر هو جوابه عليَّ عندما كنت أقدم له النصيحة موضحاً بأن هذا الرأي الذي يتبناه لا يوافق كتاب الله وسنة النبي ﷺ، وأن الرأي الصواب كذا وكذا والدليل على ذلك كذا وكذا من كتاب الله وسنة النبي ﷺ فما يكون جوابه إلا أن يقول: هذا رأي الشيخ فلان وهل أنت أعلم أم هو؟! وعلى العموم هو المسئول أمام الله وعلقها في رقبة عالم واطلع سالم.

ولذلك كان لابد من توضيح هذه المسألة بشكل جلي ليهلك مَن هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة. فبعض الناس الآن يسوغ لنفسه أن يترك سنة النبي محمد ﷺ تعصباً لشخص معين أو متخيراً ما شاء من الآراء الفقهية التي ليس لها سند أو دليل - اتباعاً للهوى وتماشياً مع نزوات النفس.

فما هو التقليد؟ وما حكمه؟ وما هو التقليد الأعمى أو التقليد المذموم؟ وهل يجوز تتبع الرخص؟

هذا ما سنعرفه من خلال هذا المبحث راجياً من الله أن يكون بارقة أمل على طريق متابعة سنة النبي ﷺ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تعريف التقليد:

التقليد هو: اتباع قول الغير من غير معرفة دليله.

*** حكم التقليد**

التقليد منه ما هو جائز بشروط ومنه ما ليس بجائز:

شروط التقليد الجائز:

يجوز التقليد للعامي - وأقصد به غير المتخصص في العلوم الشرعية - بعدة شروط:

(١) أن يكون المقلد جاهلاً، عاجزاً عن معرفة حكم الله ورسوله ﷺ.

(٢) أن يجتهد المقلد في البحث عن العالم الأعلم والأدين ولا يدخر وسعاً في ذلك ولا يتعلل بكثرة أشغاله فبعض الناس تجده إن مرض يبحث عن أفضل طبيب، أما إن احتاج لمعرفة حكم شرعي تجده يتساهل ويختار العالم المشهور بالترخص لمجرد أنه يوافق هواه.

فإذا كان المقلد لا يستطيع أن يختار من يسأله من العلماء فليسأل طلاب العلم في محيطه وهؤلاء لا يخلو منهم زمان أو مكان.

(٣) ألا يتبين للمقلد الحق وألا يظهر له أن قول غير مقلده أرجح من قول مقلده، أما إن تبين له ذلك أو عرف الحق وفهم الدليل فلا يجوز له التقليد بل الواجب عليه اتباع ما تبينت له صحته.

(٤) لا يجوز للمقلد العمل بفتوى مَن قلده إذا لم تطمئن نفسه إليها، وذلك إذا علم المقلد جهل من استفتاه ومحاباته في فتواه، أو عدم تقيده بالكتاب والسنة أو لأنه معروف بالفتوى بالرخص المخالفة للسنة، وغير ذلك من الأسباب المانعة من الثقة بفتواه وسكون النفس إليها، فإذا كان الحال كذلك فيجب على المقلد أن يسأل ثانياً وثالثاً لأن مبدأ: "علقها في رقبة عالم واطلع سالم" لن ينفعه أمام الله كما لا ينفعه قضاء القاضي له إذا قضى له بغير حقه فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

(٥) ألا يكون في التقليد مخالفة واضحة للنصوص الشرعية أو

لإجماع الأمة .

(٦) ألا يلتزم المقلد مذهب إمام بعينه في كل المسائل لأن الله لم يوجب لنا اتباع إمام بعينه في كل المسائل إلا النبي ﷺ فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، أما من سواه فهو ليس بمعصوم مهما بلغ من العلم والفضل .

(٧) ألا يتنقل المقلد بين المذاهب تتبعاً للرخص وبحثاً عن الأسهل على نفسه والأقرب لهواه .

التقليد الأعمى أو التقليد المذموم:

هو ما خالف الشروط السابقة ويمكن بيان أنواع التقليد المذموم على النحو الآتي:

[١] الإعراض عن الوحي وعدم الالتفات إلى نصوص الكتاب والسنة:

اكتفاءً بتقليد الآباء وإصراراً على العادات الجاهلية مثل إقامة الأفراح الماجنة التي تشمل الأغاني والموسيقى والرقص وغير ذلك من المنكرات ، وكذلك العادات المرتبطة بالموت مثل إقامة سرادقات العزاء والأربعين والسنوية وغير ذلك من العادات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [لقمان:٢١] .

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة:١٧٠] .

[٢] تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء:٣٦] .

ولا تقف أي: لا تتبع .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

[٣] تقليد قول من عارض الله ورسوله ﷺ كائنا من كان ذلك المعارض:

قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الأعراف:٣] .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب:٦٦، ٦٧] .

[٤] التقليد بعد وضوح الحق ومعرفة الدليل:

قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر:٤٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

[٥] تقليد مجتهد واحد بعينه في جميع اجتهاداته:

بحجة أنه اطلع على جميع نصوص الشريعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واطلع كذلك على معانيها وشروحها وعلى ذلك فإن أي آية أو حديث قد خالفا قوله فلا شك عندهم أن ذلك الإمام المجتهد اطلع علي تلك الآية وعلم معناها وعلي ذلك الحديث وعلم معناه، وأنه ما ترك العمل بهما إلا لأنه اطلع على ما هو أقوى منهما وأرجح فهم يتبعون هذا الراجح الموهوم ويقدمونه على نصوص الكتاب والسنة وهذا بلا شك حجة باطلة لا تقوم على قدم ولا ساق وذلك للأسباب الآتية:

١ - هذه الدعوى يستلزم منها القول بعصمة الأئمة المجتهدين عن الخطأ والنسيان وهو قول باطل قطعاً لأن العصمة انتهت بوفاة النبي ﷺ.

٢ - خطأ الأئمة المجتهدين في بعض مسائل الاجتهاد ومخالفتهم للسنة فيها وهذا يرجع إلى عدة عوامل:

(أ) ألا يكون الحديث قد بلغ الواحد منهم.

(ب) أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه لم يثبت عنده كأن يكون قد بلغه من طريق ضعيف وللحديث طريق آخر صحيح لم يطلع عليه.

(ج) أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكنه نسيه.

(د) عدم معرفته بدلالة الحديث: تارة لكون اللفظ في الحديث غريباً عنده ومما يختلف العلماء في تفسيره، وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي ﷺ، وتارة لكون اللفظ مشتركاً مجملاً أو متردداً بين حقيقة ومجاز فيحمله علي الأقرب عنده وإن كان المراد هو الآخر، كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر: الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحبل وغير ذلك.

(ه) اعتقاده أنه لا دلالة في الحديث أو الآية والفرق بين هذا والذي قبله أن الأول لم يعرف جهة الدلالة وهذا عرفها لكنه لم يعتقد أنها دلالة صحيحة

(و) اعتقاده أن دلالة النص صحيحة ولكن قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة مثل معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو غير ذلك من المعارضات كأن يعتقد أن النص منسوخ أو مؤول.

لهذه الأسباب وغيرها قد يعذر الأئمة المجتهدون بمخالفتهم لحديث من أجلها فهم قد بذلوا وسعهم ولم يقصروا.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**» .

أما مقلدوهم فليسوا بمعذورين إذا قلدوهم في المسألة التي خالفوا فيها السنة لأن المعذور هو المجتهد الذي بذل جهده في تعلم كتاب الله وسنه رسوله وأقوال أصحابه وفتاويهم بخلاف المقلدين الذين أعرضوا عن نصوص الوحي بل ونزلوا أقوال الرجال الذين يخطئون ويصيبون منزلة الوحي .

*** أمثلة لمسائل أخطأ فيها الأئمة وخالفوا فيها السنة**

مثال١: أبو حنيفة – رحمه الله – ترك العمل بحديث القضاء بالشاهد واليمين في الأموال وبحديث تغريب الزاني البكر وغير ذلك .

مثال٢: مالك – رحمه الله – أنكر صيام الست من شوال واستحسن صيام يوم الجمعة ولو مفرداً لأنه لم يبلغه السنة فيهما .

مثال٣: الشافعي – رحمه الله – قال بنقض الوضوء بمجرد لمس المرأة بدون حائل مع ورود ما يخالف ذلك في السنة .

مثال٤: أحمد بن حنبل – رحمه الله – قال بصيام يوم الشك احتياطاً لرمضان مع ورود النص بالنهي عن صومه .

وليس المقصود بهذه الأمثلة انتقاص الأئمة والتقليل من شأنهم وإنما قصدنا مع الاعتراف بعظم منزلتهم أن نبين أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب تقديمهما على أقوالهم لأنهم غير معصومين عن الخطأ .

٣ – تصريح الأئمة أنفسهم بأنهم لم يطلعوا على جميع نصوص الشريعة ومن أمثلة ذلك: –

مثال١: قال الإمام مالك: "إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء

لم نطلع عليها"

مثال٢: قال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟

فقال: ليس ذلك على الناس .

قال: فتركته حتى خف الناس ، فقلت له: عندنا في ذلك سنة ، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: "رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه" فقال مالك: إن هذا الحديث حسن وما سمعت به قط إلا الساعة . ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الأصابع .

مثال٣: قال الإمام الشافعي مخاطباً الإمام أحمد بن حنبل: "أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح ، فأعلمني حتى أذهب إليه ، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً"

٤ - نهى الأئمة عن تقليدهم فيما أخطأوا فيه، ومن أمثلة ذلك:

مثال١: قال أبو حنيفة - رحمه الله -: "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي"

مثال٢: قال مالك بن أنس - رحمه الله -: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"

مثال٣: قال الشافعي - رحمه الله -: "كل ما قلت ؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي أولى فلا تقلدوني"

مثال٤: قال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: "لاتقلدني ، ولا تقلد

مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا"

وقال أحمد أيضاً: "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة".

(٦) السادس من أنواع التقليد المذموم: التنقل بين المذاهب تتبعاً للرخص وبحثاً عن الأسهل على نفسه والأقرب لهواه.

وليس المقصود بالرخص هنا الرخص التي جاء بها الشرع في كتاب الله وسنة النبي ﷺ مثل أكل الميتة للمضطر الذي أشرف على الهلاك أو قصر الصلاة للمسافر أو غير ذلك من الرخص التي جاء بها الشرع رفعاً للحرج وتيسيراً على الناس وإنما المقصود بالذم هو الرخص المستفادة من زلات العلماء وهي أقوالهم الواهنة الضعيفة التي ليس لها مستند شرعي من كتاب الله أو سنة النبي ﷺ.

تعريف تتبع الرخص:

هو تتبع المقلد للأسهل من أقوال العلماء في المسائل العلمية؛ بحيث لا يكون اتباع المقلد لهذه الرخص بدافع قوة الدليل وسطوع البراهين؛ بل رغبة في اتباع الأيسر والأخف؛ سواءً أكان ذلك بهوى النفس، أم بقصد التشهي، أم بجهل منه.

حكم تتبع الرخص:

نقل بعض أهل العلم الإجماع على تحريم تتبع الرخص؛ كابن حزم الظاهري وابن عبد البر المالكي وابن الصلاح الشافعي وابن النجار الحنبلي وغيرهم.

أقوال العلماء في ذم تتبع الرخص:

(١) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاثة يهدمن الدين: زلة العالم وجدال المنافق وأئمة مضلون.

(٢) قال سليمان التيمي: "لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك

الشر كله".

(٣) قال الإمام الأوزاعي: "من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام".

(٤) قال الإمام الذهبي: "من تتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين فقد رق دينه"

(٥) روى البيهقي في السنن الكبرى عن إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي قال: "دخلت على المعتضد بالله فدفع إليَّ كتاباً، فنظرت فيه فإذا قد جمع له من الرخص من زلل العلماء، وما احتج به كل واحد منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق.

فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ - يقصد بالأحاديث الآثار الواردة عن العلماء -

قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر - النبيذ - لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح المسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه. فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب"

(٦) قال الإمام الدرامي في كتابه الرد على الجهمية: "إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ويتعلق بزلاتهم، والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بينتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه".

(٧) قال الإمام الشافعي: "من قلد معيناً في تحريم شيء أو تحليله، وقد ثبت الحديث على خلافه، ومنعه التقليد عن العمل بالسنة فقد اتخذ من قلده رباً من دون الله تعالى، يحل له ما حرم الله، ويحرم عليه ما أحل الله".

شبهة اختلاف الأمة رحمة والآراء الفقهية يأخذ منها من يشاء ما يشاء ويدع ما يشاء

للأسف الشديد، صار ديدن كثيرا من العوام في زماننا هذا اختيار ما يروق لهم من الأقوال الضعيفة الواهنة التي ليس لها حظ من دليل بحجة أن بعض العلماء قال بها وأن هذا من التوسعة على الأمة مستدلين بحديث "اختلاف أمتي رحمة"!!

وقد أجاب عن هذه الشبهة العلامة الألباني فقال:

"والجواب من وجهين:

الأول: أن الحديث لا يصح، بل هو باطل لا أصل له؛ قال العلامة السبكي: "لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع".

قلت: وإنما روى بلفظ: "اختلاف أصحابي لكم رحمة".

و"أصحابي كالنجوم؛ فبأيهم اقتديتم اهتديتم".

وكلاهما لا يصح: الأول واه جداً، والآخر موضوع، وقد حققت القول في ذلك كله في "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" (رقم ٥٨، ٥٩، ٦١).

الثاني: أن الحديث - مع ضعفه - مخالف للقرآن الكريم، فإن الآيات الواردة فيه - في النهي عن الاختلاف في الدين، والأمر بالاتفاق فيه - أشهر من أن تذكر ولكن لا بأس من أن نسوق بعضها على سبيل المثال، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال:٤٦].

وقال: ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم:٣١، ٣٢].

وقال: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون ، وإنما يختلف أهل الباطل فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟!

فثبت أن هذا الحديث لا يصح ، لا سنداً ولا متناً ، وحينئذ يتبين بوضوح أنه لا يجوز اتخاذه شبهة للتوقف عن العمل بالكتاب والسنة الذي أمر به الأئمة "[من كتاب صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني صفحة ٥٢ ،٥٣] .

الوجه الثالث في رد هذه الشبهة: نأخذه من كلام الإمام الشاطبي – رحمه الله – وهو يشير إلى أن مجرد وجود الخلاف في المسائل ليس عذراً للتشهي في اختيار الأقوال والأخذ بأي منها بحجة أن الكل شرع فقال: "وقد زاد هذا الأمر على قدر الكفاية حتى صار الخلاف في المسائل معدوداً في حجج الإباحة ، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفاً فيه بين أهل العلم ؛ لا بمعنى مراعاة الخلاف ؛ فإن له نظراً آخر ؛ بل في غير ذلك ؛ فربما وقع الإفتاء في المسألة بالمنع فيقال: لم تمنع ، والمسألة مختلف فيها؟ فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفاً فيها ؛ لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع ؛ وهو عين الخطأ على الشريعة ؛ حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمداً ، وما ليس بحجة حجةً".

وكلام الإمام الشاطبي في هذه المسألة نفيس ورائع لكنه قد يكون غير مفهوم لبعض إخواننا ولذلك أورد كلاماً للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – يوضح هذا الكلام:

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في كتابه الممتع الشرح الممتع:

"أما إذا كان الخلاف لاحظ له من النظر ، فلا يمكن أن نعلل به المسائل ونأخذ منه حكماً:

وليس كل خلاف جاء معتبراً ::: إلا خلافاً له حظُ من النظر

لأن الأحكام لا تثبت إلا بدليل ، ومراعاة الخلاف ليست دليلاً شرعياً تثبت به الأحكام".

الوجه الرابع في رد هذه الشبهة: الحق واحد لا يتعدد لأن مَن يقول بتعدد الحق في المسألة الواحدة ذات الصورة الواحدة ، ينسب إلى الشريعة التناقض والعياذ بالله .

قال الإمام مالك – رحمه الله –: "ما الحق إلا واحد ، قولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً؟! ما الحق والصواب إلا واحد".

وقال الإمام المزني – رحمه الله –: "يقال لمن جوز الاختلاف وزعم أن العالمين إذا اجتهدا في الحادثة ، فقال أحدهما: حلال ، والآخر: حرام ؛ أن كل واحد منهما في اجتهاده مصيب الحق: أبأصل قلت هذا أم قياس؟ فإن قال: بأصل ؛ قيل له: كيف يكون أصلاً والكتاب ينفي الاختلاف؟!".

وإن قال: بقياس ؛ قيل: كيف تكون الأصول تنفي الخلاف ، ويجوز لك أن تقيس عليها جواز الخلاف؟ هذا ما لا يجوزه عاقل ، فضلاً عن عالم".

الوجه الخامس: الأمر باتباع الوحي – القرآن والسنة – في آيات كثيرة من كتاب الله وعلى ذلك فالحجة في أي رأي فقهي تكمن فيما استند إليه من دليل ، أما ما خالف الدليل فلا يساوي شيئاً . قال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣] .

وقال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٥] .

وقال تعالى: ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ**

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦] .

الآثار السيئة المترتبة على تتبع الرخص:

(١) في تتبع الرخص مخالفة لأصول الشريعة ومقاصدها ؛ لأن الشريعة جاءت لتخرج الإنسان من داعية هواه وجاءت بالنهي عن اتباع الهوي ، أما تتبع الرخص فهو يذهب بالإنسان إلى عبودية الهوى - والعياذ بالله - والسير وراء شهوات النفس ونزواتها .

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣] .

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] .

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٤] .

(٢) في تتبع الرخص تحايل على إسقاط التكاليف الشرعية .

قال الإمام الشاطبي في هذه المسألة: "فإنه مؤدٍّ إلى إسقاط التكاليف من كل مسألة مختلف فيها ؛ لأن حاصل الأمر مع القول بالتخيير أن للمكلف أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ؛ وهو عين إسقاط التكليف"

قال الإمام النووي: "لو جاز اتباع أي مذهب شاء لأفضى إلى أن يلتقط رخص المذاهب متبعاً لهواه ويتخير بين التحليل والتحريم والوجوب والجواز ؛ وذلك يؤدي إلى الانحلال من ربقة التكليف".

(٣) ترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف ؛ وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] .

- قال الإمام الشاطبي في هذه المسألة: "فإن في مسائل الخلاف ضابطاً قرآنياً ينفي اتباع الهوى جملةً وهو قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:٥٩] وهذا المقلد قد تنازع في مسألته مجتهدان فوجب ردها إلى الله والرسول؛ وهو الرجوع إلى الأدلة الشرعية؛ وهو أبعد من متابعة الهوى والشهوة، فاختياره أحد المذهبين بالهوى والشهوة مضاد للرجوع إلى الله والرسول".

- قال الإمام الشافعي: "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد"

(٤) الاستهانة بالدين وشرائعه، إذ يصير بذلك سيالاً لا ينضبط وقد تمثل ذلك في كثير من الأقوال الغريبة والآراء الشاذة التي تنم عن جهل عميق، وتفتح باب شر عريض ومن أمثلة تلك الآراء الشاذة:

مثال١: جواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة.

مثال٢: لا ينبغي إقامة حد الردة على المرتد في هذا العصر.

مثال٣: جواز الغناء والموسيقى.

مثال٤: جواز زواج المرأة بغير ولي.

مثال٥: جواز التدخين في نهار رمضان.

مثال٦ جواز إنشاء بنوك حليب للأمهات استناداً إلى قول عن أبي ثور ولا يثبت.

مثال٧: جواز مصافحة المرأة الأجنبية للرجال.

وهكذا في سلسة أقوال شاذة وآراء فجة يمسك المتعالم لها رواية ضعيفة أو خلافاً شاذاً أو فهماً بعيداً فيبني عليه فتوى مزينة بجلل البيان، لكنها عرية عن الدليل والبرهان.

(٥) فتح الباب على مصراعيه أمام القوانين الوضعية الباطلة التي ما

جرت على العباد والبلاد إلا العذاب والويلات ، وتنحية الشريعة الإسلامية .

قال مَن لا خلاق له لأحد اللجان الوضعية في بلاده:

"ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه موافق للزمان والمكان ، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية بطابق ما وضعتم".

(٦) انخرام نظام السياسة الشرعية الذي يقوم على العدالة والتسوية ؛ بحيث إذا انخرم أدى إلى الفوضى والمظالم وتضييع الحقوق بين الناس .

قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون:٧١] .

(٧) تتبع الرخص يفضي إلى القول بتلفيق المذاهب على وجه يخرق إجماع العلماء .

والتلفيق هو: الإتيان بكيفية لا يقول بها مجتهد بأن يجمع في قضية واحدة بين قولين أو أكثر يتولد منهما قول جديد لا يقول به أحد الأئمة .

مثال: رجل تزوج امرأة بلا ولي ولا شهود مقلداً أبا حنيفة في عدم اشتراط الولاية ومقلداً مالكاً في عدم اشتراط الشهادة بذاتها والاكتفاء بإعلان الزواج .

فهذا زواج باطل حتى عند الإمامين أبي حنيفة ومالك لأنهما لا يجيزانه على هذه الصورة الملفقة .

وقبل ذلك فهو زواج باطل لمخالفته للحديث الصحيح الذي رواه عبد الرزاق والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٥٧) عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**» .

* * *

المبحث الرابع
الآفة الرابعة: اتباع المتشابه

إن اتباع المتشابه من القرآن أو الأحاديث من أخطر الآفات علي طريق متابعة السنة فكم زلت أفهام وانزلقت أقدام بسبب ترك المحكم واتباع المتشابه ولقد أصبح استخراج المتشابهات وضرب المحكمات بها أمراً مستساغاً عند كثير من الناس وذلك حين صارت الشريعة وحماها كلأً مباحاً لكل من هبّ ودبّ من ذوي الجهل والهوى ، فما هو المحكم؟ وما هو المتشابه؟

تعريف المحكم:

هو الواضح الدلالة الذي ليس فيه شبهة ولا إشكال .

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ: الذي ليس فيه تصريف ولا تحريف عما وضع له .

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ: مَا كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يرجع فيه إِلَى غَيْرِهِ .

تعريف المتشابه:

هو الذي يلتبس معناه على كثير من الأذهان: لكون دلالته مجملة ، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منه .

وقيل المتشابه: ما احتمل من التأويل أكثر من وجه .

وقيل الْمُتَشَابِهُ: مَا يَرْجِعُ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ .

وقيل المتشابه هو: الذي خالف الأدلة الكثيرة ، خالف القواعد ، ولم يأخذ به العلماء الأثبات – من السلف الصالح ومن سار علي نهجهم – وإنما وجهوه وبينوا معناه .

قال تعالي: ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء**

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] .

التفسير: هو وحده الذي أنزل عليك القرآن: منه آيات واضحات الدلالة ، هن أصل الكتاب الذي يُرجع إليه عند الاشتباه ، ويُرَدُّ ما خالفه إليه ، ومنه آيات أخر متشابهات تحتمل بعض المعاني ، لا يتعيَّن المراد منها إلا بضمها إلى المحكم ، فأصحاب القلوب المريضة الزائغة ، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات وحدها ؛ ليثيروا الشبهات عند الناس ، كي يضلوهم ، ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة . ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله . والمتمكنون في العلم يقولون: آمنا بهذا القرآن ، كله قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويردُّون متشابهه إلى محكمه ، وإنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة .

قال الشيخ الدكتور منصور بن حمد العيدي:

"يُشكِّل الحديث عن المحكم والمتشابه في هذه السنوات الأخيرة أهمية فائقة ؛ لأننا نعيش وبامتياز ظاهرة الاستدلال بالمتشابه و الإعراض عن المحكم ، أو على الأقل محاولة تخريج النصوص المحكمة بأي نوع من أنواع التخريج بغية إبعادها عن ساحة الحكم بين الناس ، وبالتالى إقصاء دلالتها عن التأثير في عموم المسلمين ، ممّا يُمهّد لإشاعة أي فكر منحرف في أوساطهم ، لكون ما يحميهم من النصوص المحكمة في الكتاب والسنة قد أصبح وراء الظهور".

خطورة اتباع المتشابه:

(١) إباحة المحرمات ، ومن ذلك:

إباحة اختلاط الرجال بالنساء استدلالاً بما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ،

فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «**وَاثْنَتَيْنِ**» .

والحق الذي لامرية فيه أن هذا النص في أمر الاختلاط في أحسن أحواله من المتشابه ، إن لم يقل قائل: أنه لا تعلق له به البتة وذلك للأسباب الآتية:

١ - دلالة الحديث الأصلية في شقه الأول هى: طلب النساء للعلم الشرعى وتخصيصهن بذلك دون الرجال ، ولهذا ترى البخاري يبوب عليه فيقول: باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم . فإذن ليس هو في حكم الاختلاط ابتداء

٢ - من المحتمل أن تكون هذه الحادثة قبل فرض الحجاب أصلاً .

٣ - ليس في النص دلالة على عدم وجود الحجاب بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين النساء رضي الله عنهن .

٤ - الفارق بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بقية الرجال من جهة التقوى والعصمة وغض البصر وغير ذلك لا ينكر الأمر الذى يصعب معه الاقتداء ، والحكم بالجواز ، هذا لو سُلِّم كل ما تقدم .

٥ - هذا النص دليل على منع الاختلاط لا إباحته .

وبيان ذلك أنه لو كان الاختلاط جائزاً ، وكان هو الأصل لكان حال النساء في الأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وسؤاله كحال الرجال ، فلم يكن هناك غالب ومغلوب ، (وهو ما يحدث في مقاعد الدراسة المختلطة) ولقيل لهن: تعالين وساوين الرجال في مكانكن من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو اجلسن بين ظهرانى الرجال ، أو تقدمن عليهم .

ولا شك أن هذا يتضمن توفيراً للوقت وللجهد، قائد الأمة صلى الله عليه وسلم بأمس الحاجة إليه.

٦ - روي أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٩٢٩] عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «**اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ**» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ.

وهذا نص محكم واضح الدلالة فى منع الاختلاط وذلك للأسباب التالية:

أ - هذا النص يتحدث عن الأدب الذي ينبغى أن تتحلى به المرأة وهى فِي الطريق ألا وهو: البعد عن الرجال، ولهذا ترى أبو داود يبوب عليه باب مشي النساء مع الرجال في الطريق.

ب - التوجيه النبوي لا لبس فيه، صريح فِي دلالته: الأمر بلزوم النساء حافة الطريق إذا كان ثمة رجال، ولوضوح التوجيه النبوي كان امتثال الصحابيات رضي الله عنهن مباشراً دون استفصال.

ج - التعليل لهذا الأمر النبوى منصوص عليه: حصول الاختلاط (فاختلط الرجال مع النساء).

د - لوضوح هذه المعطيات لن يتردد طويلب العلم فضلاً عن المجتهد باستخلاص نتيجة هى: وجوب ابتعاد النساء عن الرجال فِي الطرقات، وإنما تنحاز المرأة إلى حافة الطريق فيكون بينها وبين الرجال مسافة يصح معها حينئذٍ أن يُقال أنها غير مختلطة بهم. وهذا الحكم مُفاد من النص بطريق المطابقة.

هـ - يستطيع الفقيه بعد ذلك باستخدام عموم المعنى أو قياس

الأولى أن يستنبط منع الاختلاط في غير الطرقات ؛ فإنه إذا منع منه أشرف الناس بعد الأنبياء ، في الطريق العابر ، في الوقت القصير ، في وضح النهار ، مع وجود الحجاب ، حالة الخروج من أطهر البقاع ، بعد أشرف العبادات العملية: فمن باب أولى أن يمنع في أماكن المكث الطويل في أزمان الريب ، والبعد عن الحجاب ، وضعف الإيمان .

(٢) التقرير لمذهب الإرجاء الردئ: ومثال ذلك أن مرجئة العصر الحديث عندما وقفوا على قوله ﷺ لعمه – أبي طالب – إذ حضرته الوفاة: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) [البخاري] ، قالوا: الإسلام كلمة والنجاة من الخلود من النار بكلمة لا شيء بعدها ، ومن أثبت شيئاً معها فهو من الخوارج .

وهذا يخالف النصوص الصريحة المحكمة من القرآن والسنة:

قال تعالي: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً** ﴾ [النساء:١٤٥] .

فالمنافقين – مع قولهم لا إله إلا الله – في أسفل منازل النار يوم القيامة لأن المقصود هو القول التام الذي يستلزم أثره من تركٍ للشرك والتزام بشرائع الإسلام .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» .

فمن قال لا إله إلا الله وأشرك بالله شيئاً لم تنفعه هذه الكلمة .

(٣) يستطيع متّبع المتشابه أن يستدل على جواز الكفر بقول الله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف: ٢٩] فيزعم أن الله – تعالى – خيّر الناس بين الإيمان والكفر ، والتخيير بينهما يقتضي استواءهما ، ويغضُ الطرف عن الآيات الكثيرة التي تتوعد الكافر بالنار ، ومنها آخر هذه الآية التي يُستدَل بها على

فساد قوله ؛ فهي في سياق التهديد والوعيد وليس فيها تخيير ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ [الكهف: ٢٩] . وقد استدل بهذه الآية على الحرية الدينية كثير ممن فتنوا بالغرب وحريته .

(٤) يستطيع متّبع المتشابهات أن يحكم بالجنة لأصحاب الديانات الأخرى ممن كفروا بالإسلام مستدلاً بقول الله - تعالى -: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة: ٦٢] . وكثير من الليبراليين يستدل بها على صحة دين الكفار ، متعامياً عن معنى الآية وهو: (من آمن منهم برسوله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ومات على إيمانه) ، ويترك هذا الملبّس مئات الآيات والأحاديث التي تحكم بالنار لكل من لم يتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

(٥) ظهور الفرق الضالة مثل المعتزلة والشيعة والخوارج وغيرهم ماهو إلا ثمرة من الثمرات الخبيثة لاتباع المتشابه .

(٦) رد الأحاديث الصحيحة استدلالاً بما رواه أحمد و وحسنه الألبانى فِي صحيح الجامع [حديث رقم ٦١٢] عَنْ أَبِى حُمَيْدٍ ، وَأَبِى أُسَيْدٍ ، أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّى تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّى تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ، فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ**» .

فتجد أهل الزيغ والضلال يستخدمون هذا الحديث فِي رفض مايشاؤون من النصوص الشرعية الصحيحة بحجة أن عقولهم المريضة

لا تقبلها ومن ذلك ردهم للحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٨٣٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله ثم لينزعه**» .

كم ملأ هؤلاء الدنيا ضجيجاً عن مخالفة هذا الحديث للعقل والذوق السليم ضاربين بكلام أئمة الحديث الذين صححوا هذا الحديث عرض الحائط ، فلما جاء الكلام من عند أسيادهم الغربيين بإثبات هذه الحقيقة العلمية أقروا وأذعنوا .

وهذا الحديث الذي يستخدمونه في رد الأحاديث الصحيحة لاحجة لهم فيه لأن متنه من المتشابه ولا يجوز اعتباره معياراً لما يُقبل من الأحاديث بالعقل ؛ لأن العقول متفاوتة ، فما يقبله عقل هذا ينكره عقل هذا ، وما ينكره عقل هذا يقبله عقل هذا ، ثم إن أكمل العقول عقول الصحابة ومن سار على نهجهم ، وهؤلاء هم المعنيون بهذا الحديث ، وليس معنياً به الذين يتبعون المتشابه اعتماداً على عقولهم من التغريبيين الماكرين بالأمة الإسلامية ، وقد ذكر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/ ٣٨٢): أن المراد به المؤمنون الكاملون الإيمانَ الذين استضاءت قلوبهم من مشكاة النبوة ، وقال الشيخ الألباني معلقاً على الحديث في كتابه صحيح الجامع الصغير (٦١٢): «الخطاب خاص بالصحابة وأهل العلم بالحديث ونقاده ممن هم مثلهم في صفاء القلوب وطهارة النفوس والمعرفة بسيرته صلى الله عليه وسلم» .

* * *

المبحث الخامس:
الآفة الخامسة الكبر

إن الكبر من أشد الآفات خطورة على طريق طاعة الله ورسوله ﷺ ولم لا؟!

فكثير من الناس يصدهم الكبر عن قبول الحق لأنهم يرون أنفسهم أرفع وأعلى مكانة من الناس .

والكبر مرض خطير وداء عضال لا يفرق بين غني وفقير ، ولا قوي وضعيف ، ولا حاكم ولا محكوم ، ولا عالم وجاهل ، فحرى بكل مسلم أن يحذره على نفسه والمعصوم من عصم الله .

تعريف الكبر:

الكبر هو: رد الحق ودفعه وعدم قبوله ، واحتقار الخلق والاستخفاف بهم وازدرائهم والترفع عليهم ، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس**» وبطر الحق هو رده ودفعه ، وغمط الناس احتقارهم والاستخفاف بهم .

ذم الكبر والنهي عنه في القرآن الكريم:

- قال الله تعالى مبيناً سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم:

﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة:٣٤] .

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: وهذا ، وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس ، فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون

عن الخضوع لأمر الله ، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق .

- قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ [النساء:١٧٣] .

- قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأعراف:٤٠] .

- قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر:٦٠] .

- قال تعالى: ﴿ **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر:٧٢] .

- قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [لقمان:٧] .

- قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر:٣٥] .

ذم الكبر والنهي عنه في السنة النبوية:

- روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر**» .

العتل هو: الشديد الغليظ ، الجواظ: سيء الخلق .

المستكبر: وهذا هو الشاهد - هو الذي عنده كبر - والعياذ بالله - وغطرسة ، كبر على الحق ، وكبر على الخلق ، فهو لا يلين للحق أبداً ولا يرحم الخلق والعياذ بالله .

- روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً**» .

- روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجلٌ رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» .

(يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة): أي انهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن فهو يغوص فيها إلى يوم القيامة

- روى مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي، أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما على ملؤها**» .

- روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**» .

عائل مستكبر: أي فقير مستكبر ، وقد خُص بهذا الوعيد المخيف دون الغني المستكبر أو غيره من شرائح الناس لأن الفقر يوجب للإنسان أن يتواضع فإن استكبر الفقير وهو لا يملك الأسباب التي تستدعي الكبر والبطر عند ذوي النفوس المريضة دل ذلك على خبث مركب في نفسه ، وعظم سوء طويته وأخلاقه ، لذلك خصه الله تعالى بهذا الوعيد المخيف دون غيره من أصناف المستكبرين ، والله تعالى أعلم .

- روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم، يقال له: بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة**

أهل النار طينة الخبال» [حسنه الألباني في صحيح الجامع: حديث رقم ٨٠٤٠] .

أقوال السلف والعلماء في ذم الكبر والمتكبرين:

- قال أبو عثمان النيسابوري - رحمه الله -: "ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره ، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول ﷺ ، ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه ، أو يكاد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً"

- قال الأحنف بن قيس - رحمه الله -: "عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين".

- مر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته ، فقال مالك: أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين؟

فقال له المهلب: أما تعرفني؟!

قال مالك: بل أعرفك ، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بينهما تحمل العذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته وكان المهلب ملكاً .

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية ، كما ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته**» فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار".

حكم الكبر:

(١) حيث أن الكبر يستدعي متكبراً عليه فالمتكبر عليه: إن كان هو الله تعالى ، أو رسله ، أو الحق الذي جاءت به رسله: فذلك الكبر كفر

كما في قول الله تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٥٩] .

- وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧] .

- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١١ - ١١٤] .

فالذي حملهم على رد الدعوة وعدم الدخول في الدين الحق أنه يوجد من أتباع هذا الدين: الضعفاء والفقراء والمساكين الذين أطلقوا عليهم وصف الأراذل الذين لا يستحقون أن يكونوا من جلساء المستكبرين ، أو يجمع بينهما دين .

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧] .

فهؤلاء قوم نوح ما منعهم عن قبول الدعوة والاستماع لنداء الفطرة والإيمان إلا الكبر .

- وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت:١٥، ١٦] .

(٢) إن كان المتكبر عليه هو خلق الله فذلك الكبر معصية وكبيرة من الكبائر العظيمة يخاف على المتلبس بها المصر عليها أن تفضي به إلى الكفر فلا يدخل الجنة أبداً .

روى مسلم عن سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك**» .

قال: لا أستطيع . فقال ﷺ : «**لا استطعت**» .

ما منعه إلا الكبر . قال: فما رفعها إلى فيه أي ما قدر أن يرفع يده مرة أخري إلى فمه لأنها صارت كالعصا لا تتحرك .

والشاهد أن هذا الرجل رغم أنه امتنع عن الأكل باليمين كبراً لكنه تستر بالعجز وعدم الاستطاعة ، فإنه لم يكفر بذلك ، ولم يحمله النبي ﷺ على التوبة والدخول في الإسلام من جديد . ومن ذلك النوع أيضاً أن تأمر مَن بجوارك في الصلاة بأن يتراص ويتساوى مع الصف فيمتنع كبراً واستخفافاً بمن يأمره ، أو تحضه على إحياء بعض السنن في الصلاة وغيرها فلا يلتفت إليك ولا يعيرك أي اهتمام وما حمله على ذلك إلا الكبر والاستخفاف بمن يأمره ، ولو سئل عن سبب إعراضه وعدم استجابته لأجاب بالجواب الشائع على ألسنة كثير من الناس: هذا يريد أن يشغلنا معه بالنوافل والفروع تاركاً الأهم والفرائض والأصول وكأنه لم يبق من الدين إلا هذا الذي يذكرنا به .

فهذا النوع من الكبر – رغم خطورته – ليس من الكفر الأكبر لكنه قد يؤدي به إلى الكفر الأكبر – والعياذ بالله – كما حدث مع جبلة بن الأيهم الغساني ملك آل جفنة الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثم قدم على عمر في المدينة في عدد من فرسانه ففرح به عمر وفرح به المسلمون ثم حضر موسم الحج من عامه ذلك ، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من فزارة فحله ، فالتفت إليه جبلة مغضباً ولطمه فهشم أنفه ، فاستعدى عليه إلى عمر – رضي الله عنه – فأرسل عمر إلى جبلة فلما جاءه ، قال له عمر: ما دعاك إلى أن لطمت أخاك فهشمت أنفه؟

قال: إنه وطئ إزاري فحله ، فلولا حرمة البيت لأخذت الذي فيه عيناه ، فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت فإما أن ترضيه وإلا أقدته منك .

قال جبلة: أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة؟!

قال عمر: يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام فما تفضله إلا بالعافية .

قال: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .

قال عمر: هو ذاك .

قال: إذاً أتنصر .

قال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك ، فقال جبلة: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين .

قال عمر: ذلك لك .

فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه ، فلم يلبث أن دخل قسطنطينية على هرقل فتنصر ، فأعظم قدومه وسر به وأقطعه الأموال والأراضي .

فهذا الرجل - جبلة بن الأيهم - دفعه الكبر إلى الكفر والردة عن دين الإسلام - والعياذ بالله - ، نسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه .

صور الكبر:

(١) كبر الدعاة وطلاب العلم: ومن صور ذلك الكبر:

(أ) أن ينظر الداعية إلى نفسه على أنه شيء كبير ، فهو لا يقبل الحق لو جاءه ممن هو دونه علماً ويضيق صدره لأدنى نصح أو نقد .

(ب) أن يقول الداعية قولاً ، ثم يظهر له أنه خلاف الحق المسطور

في الكتاب والسنة فيتعاظم عليه أن يرجع إلى الحق ، ويحمله ذلك على أن يتمادى في باطله وخطئه حتى لا يقال فلان قد تراجع عما كان يقول .

(ج) أن يرد الحق عصبية لمذهبه ، أو حزبه ، أو شيخه ، فلا يقبل الحق إلا إذا جاء عن طريق مذهبه ، أو حزبه ، أو شيخه ، أو الجهة التي يرتضيها .

(د) أن ينعدم عند الداعية مبدأ الشورى ، فلا يستشير الآخرين استخفافاً بآرائهم وأفهامهم وعقولهم .

(هـ) أن يحب أن يكون في الصدارة دائماً ، فلو تكلم متكلم ، لا يجوز أن يكون هذا المتكلم إلا هو ، ولو خطب خطيب لا يجوز أن يكون هذا الخطيب إلا هو .

(و) ألا ينصف الدعاة الآخرين بما فيهم من الحق أو الخير ، فإذا جاء على ذكرهم مر عليهم بالطعن والغمز واللمز ليظهر للسامعين على أنه الأعلم والأفهم والأفقه .

(ز) أن ينظر لنفسه بعين الإعجاب ، وعلى أنه ألم بالعلم من جميع أطرافه وأنه يفوق أقرانه والآخرين من أهل العلم فهماً وعلماً والتزاماً فيحمله ذلك على التعالي عليهم .

(٢) كبر الفقراء: ومن صور ذلك الكبر:

(أ) أن يحقر الفقير النعمة التي تساق إليه .

(ب) أن يحقر العباد ويترفع عليهم بما لم يعط وليس عنده ، فيكون بذلك كلابس ثوبي زور .

(ج) أن يحقر الحق أو جانباً منه عندما يطالب به .

(د) أن يترفع على طلب العلم ومجالس العلم .

(ه) أن يحقر المسلمين بعبارات الطعن والتجريح والاستخفاف .

(٣) كبر النساء: ومن صور ذلك الكبر:

(أ) أن تحقر المرأة أختها المسلمة لمجرد أنها جميلة وأختها دميمة أو أقل منها جمالاً .

(ب) أن تترفع على صديقاتها بما عندها من مال ومصوغات ذهبية .

(ج) أن تترفع على النساء بمركز زوجها المالي أو الاجتماعي .

(٤) كبر الحكام الظالمين: ومن صور ذلك الكبر:

(أ) رد الحق ومحاربته .

(ب) احتقار الناس والاستخفاف بهم .

(ج) عدم قبول النصح ، بل والإعراض عنه ، وليس ذلك فقط بل لا يألون جهداً في إيذاء أهل النصيحة سواء بالقتل أو السجن أو النفي خارج البلاد .

(د) اعتقال الدعاة والمصلحين في سجون غير آدمية والتعرض لهم بكل أنواع التعذيب .

(٥) كبر الجنود والأتباع: فهم أداة الحكام الظالمين التي يسومون بها الناس سوء العذاب ، ومن صور ذلك الكبر .

(أ) رد الحق .

(ب) احتقار الخلق وتعذيبهم .

(٦) كبر الأغنياء: ومن صور ذلك الكبر:

(أ) الترفع عن حضور مجالس العلم والجلوس تحت أقدام العلماء لتحصيل العلم النافع .

(ب) رد الحق لمجرد أنه أتي من شخص فقير أو مسكين .

(ج) الترفع على الناس بما لهم من أموال وأراضي ومركز اجتماعي

(٧) كبر العباد والزهاد: ومن صور ذلك الكبر .

(أ) ينتظرون دائماً من الناس القيام بحوائجهم وتوقيرهم والتوسعة لهم في المجالس .

(ب) انتظارهم للثناء من الناس ووصفهم بالورع والتقوى والخوف من الله وغير ذلك .

(ج) النظر إلى الناس نظرة فوقية بأن يروا الناس هالكين ويروا أنفسهم ناجين وهذا الظن كفيل بإهلاكهم .

الآثار الضارة المترتبة على الكبر:

(١) الكبر يصد صاحبه عن اتباع الحق والهدى وعن الإصغاء إليه بقلب مفتوح فلا يرى الحق أبداً ولو كان واضحاً جلياً أمامه ولا يصغي لنصيحة ولا ينتفع بموعظة ويظل يتقلب في ظلمات من الجهل والضلال .

(٢) الكبر سبيل إلى غضب الله والتعرض لسخطه .

(٣) الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النار: وذلك لأن من يعتدي علي مقام الألوهية ، ويظل مقيماً على عيوبه ورذائله ، ستنتهي به الحياة حتماً وما حصل خيراً يستحق به ثواباً فيحرم الجنة مؤبداً أو مؤقتاً .

(٤) الحرمان من العون والتأييد الإلهي: ذلك أن الله سبحانه وتعالى مضت سنته أنه لا يعطي عونه وتأييده إلا لمن هضموا نفوسهم حتى استخرجوا حظ الشيطان من نفوسهم بل حظ نفوسهم من نفوسهم ، والمتكبرون قوم كبرت نفوسهم ، ومن كانت هذه صفته فلا حق له في

عون أو تأييد إلهي .

(٥) الكبر يذهب ببركة العمر ويحرم من لذة الطاعة وبركة التواضع .

(٦) الملازمة للعيوب والنقائص: وذلك أن المتكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كل شيء لا يفتش في نفسه حتى يعرف ما هو في حاجة منها إلى إصلاح ولا يقبل كذلك نصحاً أو توجيهاً أو إرشاداً من الآخرين ومثل هذا يبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه .

(٧) كراهية الناس للمتكبر ونفورهم منه وانصرافهم عنه ، مما يؤدي بالمتكبر للقلق والاضطراب النفسي نتيجة شعوره بالعزلة بالإضافة إلى خيبة أمله من عدم حصول ما تصوره لنفسه من مكانة عالية بين الناس .

(٨) الحرمان من النظر والاعتبار .

* * *

الباب الثالث:
زاد المحبين في الطريق إلى رب العالمين

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول:
الأسباب المعينة على تحقيق التوحيد

الفصل الثاني:
الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص

الفصل الثالث:
الأسباب المعينة على تحقيق المتابعة

الفصل الأول:
الأسباب المعينة على تحقيق التوحيد

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - : (وبعد فليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالتحلي ولا بالدعاوي الخالية من الحقائق وإنما بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة الجليلة ، فعلى المسلم أن يبادر لحظات العمر ويسابق ساعات الزمن في المبادرة إلى الخيرات والمنافسة في الطاعات وليستهون الصعب وليستلذ الألم فإن سلعة الله غالية . . إن سلعة الله الجنة) اهـ .

والآن هيا بنا إلى الزاد الذي نصل به إلى التوحيد:

١) **العلم**: وإلا فكيف يحقق التوحيد ويعمل به من لا يعرفه ولا يفهمه فواجب على كل مسلم أن يتعلم من توحيد الله ما يصحح به معتقده وقوله وعمله ثم ما زاد فهو فضل وخير .

٢) **تحقيق العبادة لله بمفهومها الواسع**:

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وهذا تعريف شامل لأنه صحح كثيراً من المفاهيم المغلوطة في واقع المسلمين من اختزال مفهوم العبادة في باب الشعائر التعبدية فحسب ، وقد شاع هذا الفهم الخاطئ بسبب الآثار المرة للعلمانية التي تفصل بين الدين والحياة .

والعبادة تشمل الآتي:

* أعمال القلوب: كالرغبة والرهبة والحب والخوف والرجاء .

* أعمال الجوارح: كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد

وطلب العلم .

* عبادات مالية: كالصدقة الواجبة (الزكاة) والمستحبة وإنفاق المال في سبيل الله .

* الأخلاق الحميدة: كأداء الأمانة والوفاء بالوعد وصلة الرحم وصدق الحديث .

* التحاكم إلى شرع الله في كل شؤون الحياة حتى داخل البيت المسلم بين الزوج وزوجته والأب وابنه .

* موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين .

٣) الكفر بالطاغوت: والكفر بالطاغوت هو ركيزة التوحيد وعمدته ، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)** ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فالمستمسك بها هو الذي يكفر بالطاغوت أي يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويؤمن بالله عز وجل .

قال ابن القيم – رحمه الله – (الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله . فهذه طواغيت العالم ، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله – ﷺ – إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) ا . هـ

قال الشيخ الدكتور – ياسر برهامي – ما ملخصه: ورؤوس الطواغيت خمسة:

الأول: الشيطان الداعي لعبادة غير الله ، وهو يدعو إلى عبادة نفسه

دون طاعة الرحمن ، وطاعة الشيطان في الكفر بالله وتكذيب رسله هي عبادته من دون الله وأما طاعته في المعاصي التي يأمر بها مع اعتقاد القلب لحرمتها ، وبقائه على أصل الإيمان بالله ورسله فهي ليست طاعة تامة .

الثاني: الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، وهو طاغوت بنص القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦١] .

فهذا النوع يدعي لنفسه الحق في أن يحكم بما شاء من قوانين وضعية دون شرع الله

الثالث: الحاكم الجائر الذي يغير أحكام الله ، وهو قريب من الذي قبله ، إلا أن هذا النوع يدعي لنفسه حق التبديل والتعديل على أحكام الله من قبل نفسه كالأحبار والرهبان وشيوخ الضلال الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال .

الرابع: الكاهن الذي يدعي معرفة الغيب من دون الله .

قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)** ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] .

من صفات الربوبية التي استأثر الله بها: علم الغيب ، فإذا جاوز العبد حده وادعى لنفسه صفة الربوبية فقد طغى فهو طاغوت .

الخامس: الساحر الذي يدعي ملك الضر ، والنفع ، والخلق ، والإحياء ، والإماتة ، وتقليب القلوب ، لصرفها أو عطفها على ما يريد ، وكل هذه من صفات الربوبية ، فإذا جاوز العبد حد العبودية ،

ونسب لنفسه ذلك فهو طاغوت .

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ [البقرة: ١٢٠] .

وصفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وبطلان ما ادعاه الطواغيت لأنفسهم من صفات الربوبية أو حقوق الألوهية وتبغضهم ، وتعاديهم ، وتعتقد كفر من عبد الطاغوت وتصرح بعداوتهم وتسعى بكل ما تقدر عليه باللسان واليد والمال لإبطال عبادة الطواغيت حتى يكون الدين كله لله .)) ا . هـ

٤) معرفة أصول الشرك والحذر والتحذير منها.

أصول الشرك المنتشرة في الأرض هي:

١ .الغلو في الصالحين: روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما في قول الله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣ ، ٢٤] ، قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسى العلم ، عبدت" .

ومن مظاهر الغلو في الصالحين في بلادنا: طلب الحوائج من الموتى

والذبح لهم والنذر لهم والطواف بقبورهم وهذا كله من الشرك الأكبر المخرج من الملة ولكن لا نكفر من فعل ذلك بعينه لأنه معذور بجهله لكنه يأثم لتفريطه في طلب العلم .

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)** ﴾ [الأحقاف: ٥ ، ٦] .

٢ . موالاة الكافرين والرضا بالكفر وعدم البراءة من الشرك وأهله:

قال تعالى: ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ** ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)** ﴾ [المائدة:٥١] .

وقال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: ٤] .

٣ . اتخاذ الأنداد في التحاكم كالأحبار والرهبان وغيرهم: وهي مسألة الشرك في الحكم أو قضية الحكم بغير ما أنزل الله .

قال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: ٤] .

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ **وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** ﴾ [الرعد: ٤١] .

٤ . اتخاذ الأنداد في المحبة والتعظيم: قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ**

﴿الْعَذَابِ﴾ [البقرة ١٦٥] .

٥) التفكر في آيات الله الكونية ومن أمثلة ذلك:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] .

في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى النهار بأنه هو المبصر ، وقد أثبت العلم الحديث أن الضوء ينعكس على الأشياء ثم تدخل أشعة النور إلى العين فتبصر وعلى ذلك فالعين لا تبصر بذاتها بل عن طريق الضوء الذي ينعكس على الأشياء الموجودة أمامها فإذا ذهب هذا الضوء وجاء الظلام فإن العين لا تبصر ولا ترى شيئا في الظلام الدامس ، فتدبر أخي الكريم هذه الآية الباهرة .

* قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [الحجر: ١٩] .

وقد أثبت العلم الحديث بواسطة سفن الفضاء والأقمار الصناعية أن الأرض كروية فما وجه الإعجاز إذن في الآية الكريمة؟

قوله تعالى "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا" أي بسطناها أي إنك إذا وصلت إلى أي مكان في العالم: في أوروبا أو أمريكا أو أفريقيا أو آسيا ، فإنك ترى الأرض أمامك منبسطة ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية ، فلو كانت الأرض مربعة أو مثلثة أو أي شكل هندسي أخر ، فإنك تصل فيها إلى حافة لا ترى أمامك الأرض منبسطة ولكنك ترى حافة الأرض ثم الفضاء .

* قال تعالى عن أهل النار: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن جلود أهل النار كلما احترقت بدلهم الله جلودًا غيرها ليستمر شعورهم بالعذاب ، فما وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة؟ أثبت العلم الحديث أن مستقبلات

الألم موجودة تحت الجلد مباشرة بحيث إذا احترق الجلد انتهى الإحساس بالألم تماما وهنا يتبين لك مدى الإعجاز في قوله تعالى:

﴿ **بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ وعندما عرض معنى هذه الآية على البروفيسور التايلاندي تاجاثات جاسن وهو من أكبر علماء التشريح في العالم قال: إن هذه الحقيقة لم يعرفها العلم إلا حديثاً ولا يمكن أن يكون قائلها بشراً ، بل هي من الله سبحانه وتعالى ، حان الوقت لأن أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

٦) **النظر في نعم الله وآلائه على العبد والتفكر فيها** وهي لا تعد ولا تحصى كما قال عز وجل: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فلينظر المرء في نعم الله عليه في جسده وليقابله بما يمكن أن يكون الشكر عليها:

فهذه حاسة البصر التي لا يقدر نعمتها إلا من فقدها ولو قيل للأعمى صل ألف ركعة ونرد إليك بصرك لفعل ذلك بل فعل ما هو أكثر ولو قيل لفاقد السمع والنطق مثل ذلك لفعل .

ثم ماذا يقابل نعمة العقل أيكفي أن تكون ألف ركعة أو آلاف الركعات ثم لينظر المرء في نعمة المشي بالقدمين والبطش باليدين والصحة في البدن ثم ينظر فيمن أصيب بالأمراض من إعاقة في العقل أو القدمين أو أمراض الجلد مثل الجذام والبهاق .

ثم كيف أصاب الله بأمراض السرطان والسكر خلقاً لم يكن هو منهم ثم لينظر كيف أنعم الله عليه بالقدرة على الجماع وغيره مسلوب القدرة وكيف ينجب وغيره عقيم .

ثم لينظر كيف ابتلى الله خلقا بأولادهم بمرض في عقولهم أو أبدانهم وكيف هو قد أنعم الله عليه بأولاد سليمي البدن والعقل مكتملي الصحة . ثم قبل ذلك كله كيف أنعم الله عليه بأعظم نعمة

وأجلها وهي نعمة الإسلام والإيمان فلم يكن يهوديا أو نصرانيا أو بوذيا أو هندوسيا أو غيرها من الملل .

أبعد كل هذه النعم العظيمة والمنن الجليلة يعصى المرء ربه ويدعو غيره ويدعي له شريكا في حكمه وعبادته؟!

٧) **الدعوة إلى التوحيد:** قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف:١٠٨] في الآية الكريمة دلالة على أن الدعوة إلى التوحيد واجبة وأنها سبيل النبي ﷺ وهذا الواجب الناس فيه على مراتب:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذا الواجب بحسب مقدور كل أحد ، فعلى طالب العلم والعالم ما ليس على غيره ، وعلى القادر ببدنه وماله وجاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة لقوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن:١٦] وكما قيل: رحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة ، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين) ا . هـ

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية".

قيل: بلغوا: تكليف ، عني: تشريف ، ولو آية: تخفيف .

٨) **الحذر من مصاحبة أهل البدع والمعاصي فمصاحبتهم تضعف تحقيق التوحيد:**

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» .

٩) **مرافقة الصالحين الذين يعيشون على طاعة الله** ويذكرون الغافل

ويعلمون الجاهل وينصحون المقصر .

١٠) على الموحد أن يعرف نعمة ما أنعم الله عليه من التوحيد وتحقيقه ولا يغتر بنفسه من عدم الوقوع في الشرك .

فهذا خليل الرحمن - إبراهيم عليه السلام - يدعو الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام ، قال تعالى على لسان إبراهيم: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ" فحري بكل موحد أن يدعو الله بالثبات على دينه وإذا نظر لأهل الشرك والبدع والمعاصي فلا ينظر إليهم بعين الكبر والعجب بل ينظر إليهم بعين الشفقة وطلب الهداية .

١١) على الموحد أن يقرأ كثيراً في جهود وسير أئمة التوحيد وعلى رأسهم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لتكون عوناً له في دعوته وتسلية لغربته .

* * *

الفصل الثاني:
الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص

وهي تشمل عنصرين رئيسيين:

الأول: علاج الرياء والعمل للدنيا

الثاني: علاج العجب

أولا: علاج الرياء والعمل للدنيا:

لما كان الرياء من أسباب حبوط العمل ، ومقت الله ، وأنه من المهلكات كان لزاماً على كل موحد أن يحذر هذا الداء الخطير وأن يعلم كيف يواجهه ، لذلك نلخص علاج الرياء في النقاط الآتية ،وستجد علاج العمل للدنيا متضمناً أيضا في هذه النقاط:

١) معرفة أنواع التوحيد وتحقيقها ، والتعبد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فإن معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى تنقي القلب من الضعف ، فإذا علم العبد أن الله وحده هو ينفع ويضر ، طرح من قلبه الخوف من الناس حيث زين له الشيطان تزيين عبادته أمامهم خشية ذمهم ، وطمعا في ثنائهم ومتى علم أن الله سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، طرح مراقبة الناس وأطاع الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه .

٢) تقوية الإيمان في القلب ليعظم رجاء العبد لربه ، ويعرض عمن سواه ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان ومن الانقياد لشهوات النفس .

٣) مشاهدة العبد لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه وأنه بالله لا بنفسه ، فكل خير فهو مجرد فضل الله ومنته .

٤) مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره في عمله وما فيه من حظ للنفس ،

ونصيب للشيطان .

٥) الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أن يعيذه من شر نفسه ومن شرور الشيطان ووساوسه ، وأن يرزقه الإخلاص في كل خطوة يخطوها والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان ، ومن ذلك حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا وفيه:

"قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه" رواه أحمد ، وقال الألباني: حسن لغيره .

٦) تذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائين ومن أعظمها أنهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة .

٧) التفكر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسفلة ، لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة ونجاته من عذاب القبر وشدة القيامة وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين .

٨) الإكثار من العبادات غير المشاهدة وإخفاؤها ، كقيام الليل ، وصدقة السر ، والبكاء من خشية الله .

٩) معرفة الرياء ومداخله وخفاياه حتى يحترز منه .

١٠) مصاحبة أهل الإخلاص والتقوى والبعد عن مجالسة المداحين وأهل الرياء .

١١) التفكر في حقارة الدنيا وأنها لا تستحق أن يعمل العبد من أجلها أو يتطلع للحصول على مكانة وجاه فيها لأن الدنيا فانية وحياة العبد فيها قصيرة أما الحياة الحقيقية . . حياة الخلود والنعيم فهي في الآخرة . . في الجنة .

ثانيا: علاج العجب:

العلاج العام

لقد تكلم الإمام ابن حزم - رحمه الله - عن علاج العجب فجعل له علاجاً عاماً يتداوى به كل من أصيب بهذا الداء العضال والآفة القاتلة ، وهذا العلاج يكمن في التفكر في عيوب النفس والنظر إلى نقصها وضعفها فيقول رحمة الله تعالي (من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه ، فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنية ، فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه فليعلم أنه أتم الناس نقصا وأعظمهم عيوبا وأضعفهم تمييزا . فليشارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم تقول للمعجب: ارجع إلى نفسك فإذا ميزت عيوبها فقد داويت عجبك ، ولا تميل بين نفسك وبين من هو أكثر منها عيوبا فتستسهل الرذائل وتكون مقلداً لأهل الشر) .

العلاج الخاص

أما العلاج الخاص ، فقد ذكر الإمام ابن حزم فيه ما ملخصه:

١) علاج من أعجب بعقله: فإن أعجبت بعقلك ، ففكر في كل فكرة سوء تمر بخاطرك وفي أضاليل الأماني الطائفة بك ،فإنك تعلم نقص عقلك حينئذ .

٢) علاج من أعجب برأيه:

(أ) تفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنساها .

(ب) تفكر في كل رأي قدرته صوابا فخرج بخلاف تقديرك ، وأصاب غيرك وأخطأت أنت . إنك إن فعلت ذلك فأقل أحوالك أن

يوازن سقوط رأيك صوابه فتخرج لا لك ولا عليك ، والأغلب أن خطأك أكثر من صوابك وهكذا كل أحد من الناس بعد النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

٣) علاج من أعجب بما يقدمه من الخير:

(أ) تفكر في معاصيك وتقصيرك .

(ب) تفكر في معايبك ووجوهها .

وحينئذ ستجد ما يغلب على خيرك ويعلو على حسناتك فلتنكسر لله إذن وتعلن توبتك من العجب .

٤) علاج من أعجب بعلمه:

(أ) العلم موهبة من الله منحك الله إياها ودليل ذلك:

- قد يبتليك الله بداء ينسيك ما تعلمته من العلم .

- كثير من الناس له همة عالية في القراءة وحضور مجالس العلم ومع ذلك لا يحصل علماً فدل ذلك على أن العلم فضل ومنة من الله .

(ب) تفكر أيضا أن ما خفي عليك من العلم الذي تختص به والذي أعجبت ببروزك فيه أكثر مما تعلم منه وهذا يوجب عليك الشعور بالنقص والانكسار بدلا من العجب .

(ج) تفكر في تقصيرك في العمل بعلمك لأنك حينها ستدرك أن العلم أصبح حجة عليك لا لك

(د) إذا كنت عالما متخصصا في علم من العلوم الدنيوية فانظر إلى من رزقه الله العلم الشرعي الذي به صلاح الدنيا والآخرة لتدرك مدى تقصيرك وجهلك ووقتها سيخرج العجب من قلبك .

٥) علاج من أعجب بشجاعته:

(أ) تفكر فيمن هو أشجع منك .

(ب) انظر في تلك النجدة التي منحك الله إياها في أي شيء صرفتها؟ فإن كنت صرفتها في معصية فأنت أحمق لأنك بذلت نفسك فيما ليس بثمن لها ، وإن كنت صرفتها في طاعة فقد أفسدتها بعجبك .

(ج) تفكر في زوال شجاعتك وقوتك عنك بالشيخوخة .

٦) علاج من أعجب بجاهه ومنصبه:

(أ) تفكر فيمن هو أعلى منك جاهاً .

(ب) تفكر في أن الجاه والمنصب منحة من الله وقد تزول عنك لسبب أو لأخر أو تزول أنت عنها بموت أو بمرض يقعدك عن الحركة .

(ج) تفكر في أن العجب قد يقودك إلى الكبر وهذا فيه ضياعك وهلاكك في الدنيا والآخرة .

* * *

الفصل الثالث:
الأسباب المعينة على تحقيق المتابعة

وهي تشمل العناصر الآتية:

١) مواجهة ظاهرة الإرجاء

٢) مواجهة الغزو الفكري

٣) مواجهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة

٤) مواجهة التقليد الأعمى

٥) مواجهة ظاهرة تتبع الرخص

٦) مواجهة اتباع المتشابه

٧) علاج الكبر

أولا: مواجهة ظاهرة الإرجاء:

وذلك عن طريق الآتي:

١. نشر العقيدة الصحيحة التي تبين أن:

(أ) الإيمان هو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان .

(ب) العمل يدخل في مسمى الإيمان والدليل على ذلك:

١) قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:١٧٧] .

البر في هذه الآية معناه الإيمان (وهذا تفسير أبي بكر الصديق) هذه الآية العظيمة أثبتت أن الأعمال الظاهرة والباطنة تدخل في مسمى الإيمان .

٢) قال تعالى ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٧٢] .

٣) قال تعالى: ﴿ **وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ [النجم: ٣١] .

٤) قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [فاطر:٢٩، ٣٠] .

٥) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بأربع: الإيمان بالله وحده، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس**» .

٦) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**» .

٧) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفي اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته .

(ج) الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والدليل على ذلك:

١) قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

٢) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

٣) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٤) روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال للنساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن**».

٥) روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

(د) أهل الإيمان يتفاضلون فيه، والدليل على ذلك:

١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

٢) قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (قال تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا - وهم هذه الأمة - ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع:

- فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

- ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

- ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، والتارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

- روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال:

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**بينما أنا نائم، رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**» .

قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟

قال: "الدين".

قال الشيخ حافظ حكمي - رحمه الله - في منظومة سلم الوصول:

إيماننا يزيد بالطاعات ::: ونقصه يكون بالزلات
وأهله فيه على تفاضل ::: هل أنت كالأملاك أو كالرسل

٢. عدم الأمن من مكر الله وذلك بتغليب جانب الخوف على جانب الرجاء.

٣. مخاطبة أهل المعاصي والمجون بنصوص الترهيب أكثر من نصوص الترغيب لأن هؤلاء إذا سمعوا نصوص الترغيب تركوا العمل اتكالاً على سعة رحمة الله .

- قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦] .

- قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦] .

- قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩] .

- قال تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ قيل: خسرانا ، وقيل: شرا ، وقيل: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم .

٤. التنبيه على التلازم بين صلاح الباطن وصلاح الظاهر، وأن

الإسلام كما اهتم بصلاح الباطن، اهتم أيضا بإصلاح الظاهر والدليل على ذلك:

١ - روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح ، حتى رأى أنا عقلنا عنه ، ثم خرج يوما فقام حتى كاد يكبر ، فرأى رجلا باديا صدره من الصف ، فقال: «**عباد الله، لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**» وفي رواية: «**قلوبكم**» . فأشار النبي ﷺ إلى أن الاختلاف في الظاهر ولو في تسوية الصف مما يوصل إلى اختلاف القلوب فدل على أن للظاهر تأثيراً كبيراً في الباطن .

٢ - روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله - ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**» .

٣ - روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن جارية من الأنصار تزوجت ، وأنها مرضت ، فتمعط شعرها ، فأرادوا أن يصلوها ، فسألوا النبي ﷺ فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» .

٤ - روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**» .

٥ - روى مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: «**رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**» .

٦ - روى أبو داود وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون**» فجعل

النبي ﷺ مخالفة اليهود والنصارى بتعجيل الفطر سببا في بقاء الدين ظاهراً .

٧ - روى أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٤٣٩) عن أنس - رضي الله عنه - قال: قدم النبي ﷺ ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال: «**ما هذان اليومان؟**» .

قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : «**قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر**» .

٨ - روى أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٤٣٧) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: "نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانه ، فقال النبي ﷺ : «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» ، قالوا لا .

قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم**» .

قالوا: لا

فقال رسول الله ﷺ : «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**» .

والحديثان الأخيران يوضحان بجلاء أن النبي ﷺ نهي عن حضور أعياد الكفار والمشركين ولو لم يفعل فعلاً يغضب الله فكيف بمن يحضرون أعيادهم ويفعلون أفعالهم أو يهنئونهم بها؟!!

٩ - روى أحمد والطبراني في الكبير عن الشريد - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - تبع رجلا من ثقيف حتى هرول في أثره حتى أخذ ثوبه فقال: «**ارفع إزارك**» قال: فكشف الرجل عن ركبتيه فقال: "يا رسول الله ، إني أحنف وتصطك ركبتاي" فقال رسول الله ﷺ : «**كل خلق الله عز وجل حسن**» .

قال: ولم ير ذلك الرجل إلا وإزاره إلى أنصاف ساقيه حتى مات .

قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علي شرط مسلم

أحنف أي: مائل الرجل .

١٠ - روى أحمد وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط عن عبادة بن قرص - رضي الله عنه - قال: "إنكم لتأتون أشياء هي أدق في أعينكم من الشعر ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات" فذكروا قول عبادة بن قرص لمحمد بن سيرين فصدقه وقال: "أرى جر الإزار منه "يعني من الموبقات ، لما جاء فيه من الوعيد الشديد والناس يعدونه من الصغائر لفرط جهلهم وغرورهم .

والوعيد الشديد الذي جاء في شأن إسبال الإزار هو قوله ﷺ : «**ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار**» رواه البخاري من حديث أبي هريرة .

أبعد كل هذه الأحاديث الصحاح التي توضح أعظم إيضاح مدى اهتمام الإسلام بالظاهر وأن الظاهر هو عنوان الباطن ، يأتي من يقول: دعوا هذه القشور والمهم أن يكون القلب نظيفاً؟!!

٥. إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولفت أنظار الناس إلى أهميتها.

- قال تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] فالأمة الإسلامية إنما نالت الخيرية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مع إيمانها بالله جل وعلا .

- قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

- قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)**﴾ [المائدة: ٧٨ ، ٧٩] .

- روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منك منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» .

- روى أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ١٩٧٤) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - ارتقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضع الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**» .

ولذلك فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للهلاك والخسران المبين في الدنيا والآخرة .

- روى البخاري عن النعمان ابن بشير - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**» .

- روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش - رضي الله عنهما - أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها قالت زينب:

فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» .

فحري بكل مسلم أن ينهض لإحياء هذه الفريضة الغائبة . . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تنهض الأمة مرة أخرى ويعود لها مجدها وعزها وهذا لا يتحقق إلا بالاستقامة على منهج الله .

٦) إقامة الحجة على أهل الفسق والمجون والمنافقين

- الذين يبغونها عوجاً و يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا - بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة دون الدخول معهم في جدال عقيم بكلام مرسل لا يقوم على قدم وساق لأن الكلام المرسل الخالي من الدليل يساعد أهل الجدل في إظهار باطلهم ، أما الأدلة الشرعية فهي القول الفصل الذي يفرق بين المؤمن والمنافق وبين المتبع والمبتدع .

٧) تفنيد شبهات المرجئة بأدلة الكتاب والسنة.

٨) التنبيه على خطورة الصغائر وأن الصغائر مع الإصرار عليها تصير كبائر، قد تهلك صاحبها.

روى أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٢٦٨٦) عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها أهلكته**» .

ثانيا: مواجهة الغزو الفكري:

لقد أصبح تجاهل الغزو الفكري الآن ضرب من ضروب الحماقة والغفلة بعد أن رأى القاصي والداني آثاره السيئة التي توغلت في أرض

المسلمين وخيمت على عقولهم بسحابة من الجهل ، ولذا كان لزاما علينا أن نبين سبل مواجهة هذا الغزو الفكري الغاشم وهي كالآتي:

١) تعزيز الهوية الإسلامية بأقوى سلاح وهو نشر عقيدة أهل السنة والجماعة.. عقيدة التوحيد النقية الصافية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإبراز أهميتها للناس والتي تتمثل في النقاط الآتية:

أ) أنها تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام وتقطع دروب الشيطان إلى النفس بعد أن تترك في النفس الطمأنينة الصادقة والارتياح الكامل بينما تجد أهل الأهواء والبدع يعيشون في حيرة وتعاسة دائمة .

ب) أنها تجعل موقف المسلم موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة ، لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب وفي ذلك النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة لأنها تعصم المسلم من رد معاني نصوص الكتاب والسنة أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى .

ج) أنها تربط المسلم بالسلف الصالح فتزيده عزة وافتخاراً فهي تجعله يسير على خطى الصحابة - أعظم من سار على وجه الأرض بعد الأنبياء - وغيرهم من سلف الأمة المباركة ، وما كانوا عليه من الدين الذي لا جدال فيه ، كل ذلك يزيد المسلم بصيرة في دينه لأنه يسير في ظلال الفرقة الناجية التي وصفها النبي ﷺ في حديث افتراق الأمة: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» . قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٥٣٤٣) .

د) أنها تحقق للمسلمين مبدأ الاتباع . . . اتباع النبي ﷺ بفهم سلف الأمة وهذا هو الطريق القويم والصراط المستقيم .

قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥] .

وقال تعالى في وجوب اتباع سلف الأمة وعلى رأسهم الصحابة الكرام: ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٣٧] .

هـ) أنها توحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم فهي تحقيق عملي واستجابة صحيحة لنداء الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

و) أنها تحرر العقل والفكر من الفوضى الناشئة عن خلو القلب من العقيدة الصحيحة . قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

تلكم إذن القضية الكبرى والوظيفة العظمى ، فإما العبودية للرحمن وإما العبودية لآلهة شتى . فحتى يكون المرء حراً فليكن عبداً لله وإلا صار عبداً لكل شيء .

ز) أنها البداية الصحيحة لأي خطوات إصلاحية حتى يعود للأمة الإسلامية مجدها وعزها ، وتتحرر من التبعية للأمم الأخرى . فالتوحيد هو أول ما بدأت به الرسل والأنبياء مع أقوامهم:

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] .

والاستقامة على التوحيد هي طريق النصر والتمكين: قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٥٥] .

ح) أنها السد المنيع والحصن الحصين أمام الأفكار الوافدة والمذاهب الهدامة .

ط) أنها السبيل الوحيد للنجاة من النار ودخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٢) العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها منهجا في رسم علاقاتنا السياسية المحلية منها والعالمية .

٣) الحرص على تنقية مناهج التربية والتعليم من شوائب تمجيد النعرات الجاهلية كالفرعونية والأشورية وغير ذلك من المفاسد التي تملأ الكتب التي تدرس لأبنائنا في مراحل التعليم المختلفة ، والنهوض بهذه المناهج بهدف بناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية راسخة وبشكل يعدهم الإعداد المناسب الذي يبصرهم بدينهم ويحصنهم من كل مظاهر الغزو الثقافي .

٤) تطوير مناهج إعداد الدعاة من أجل إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية بالإضافة إلى اطلاعهم على ثقافة العصر ليكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة عن وعي وبصيرة .

٥) إعطاء المسجد دوره التربوي المتكامل في حياة المسلمين لمواجهة كل مظاهر الغزو الثقافي وآثاره وتعريف المسلمين بدينهم التعريف السليم الكامل .

٦) القضاء على ظاهرة الانبهار بالتقدم العلمي الغربي عن طريق التنبيه على النقاط الآتية:

أ) رفع مستوى التعليم والنهوض به في جميع المجالات الشرعية والطبية والزراعية والصناعية وغيرها حتى نتمكن من منافسة الغرب ونحن أهل لذلك ولم لا؟ ونحن أصحاب الحضارة العظيمة التي استقى منها وبني عليها الغرب حضارته الحديثة .

ب) تصحيح النوايا بأن يكون كل عمل يعمله المسلم لا ينوى به إلا وجه الله فهو إن كان طبيباً أو مهندساً أو مزارعاً أو داعيةً أو صانعاً لا

يعمل إلا لخدمة المسلمين ورفع الحرج عنهم ونصرة للإسلام وإلا فلا خير في عمل ليس من ورائه إلا تحصيل الشهوات واللذات .

ج) التنبيه على أن الدنيا دار الفناء وأن الآخرة دار البقاء ولذلك يجب ألا يحزن المسلم على شيء فاته من نعيم الدنيا لأنه زائل لا محالة ولا على مشقة تصيبه طالما أنه يسير على طريق الله ، روى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر**» .

وأبشر يا أخي ، فكل تعب ونصب لقيته في الدنيا ، سيصبح لا أثر له إذا كنت من أهل الجنة وهذه البشرى من رسول الله ﷺ : روى مسلم عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ وهل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**» .

وروى الطبراني عن عتبة بن عبد الله – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن رجلا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة**» حسنه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٥٢٤٩ .

د) حضارة الغرب وإن أبدعت في علوم الدنيا فإنها جهلت علوم الدين وهي من شر الأمم انحطاطا في هذا الجانب ، ومن أشدها كفرا بالله تعالى ، وما زادتهم علومهم الدنيوية إلا استكباراً عن قبول الحق واستنكافاً عن العبودية لله تعالى ويصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم: ٧] .

٧) التنبيه علي أن طريق التقدم عند المسلمين يختلف عن طريق التقدم عند الغرب ، فالإنسان الغربي نبذ دينه المحرف عندما رأي الكنيسة تحارب العلم والعلماء وإذا شئتَ فاقرأ موقف الكنيسة من العلم والعلماء: ما إن ظهرت في أوروبا بوادر النهضة العلمية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس بعد ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية ، وبرز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة العلمية وبخاصة في الجغرافيا والفلك ، حتى تصدت لهم الكنيسة واستخدمت ضدهم الرقابة على الكتب والمطبوعات لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية ، وتوسعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدهم ، وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من ١٤٨١ - ١٤٩٩م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة ، كما أصدرت قرارات تحرِّم قراءة كتب كوبرنيكس وجاليليو وجيوردا نويرنو ، ، وتأمر بحرق كتبهم وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة وليس هذا فحسب بل أعدمت بعض العلماء حرقاً في ميدان عام مثل برونو ، فازداد غضب الناس والعلماء والفلاسفة من سوء سلوك رجال الكنيسة ، ومن الرقابة التي فرضوها على المطبوعات ، وتوسُّعهم في استخدام محاكم التفتيش ، ومبالغتهم في القسوة والتعذيب ضد المخالفين والعلماء فكان أن ثار الناس علي هذه الأوضاع المزرية حتي وصلوا إلي ما وصلوا إليه من تنحية الدين عن الحياة .

أما عند المسلمين فالأمر يختلف تمام الاختلاف فلم يكن هناك يوماً نزاع بين الإسلام والعلم سواء في الجانب النظري أو في الجانب العلمي التطبيقي وإنما دعا الإسلام للعلم وحث عليه .

- روي الطبراني في الأوسط عن ابن عباس وفي الكبير عن ابن مسعود وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٣٩١٣) أن

رسول الله ﷺ قال: «**طلب العلم فريضة علي كل مسلم**» .

فإذا شئتَ فانظر إلي المسلمين يومَ أن تمسكوا بدينهم واعتصموا بحبل ربهم كيف سادوا الأمم قروناً عديدة شيدوا خلالها أعظم حضارة عرفتها البشرية علي مر العصور . . حضارة العلم والرحمة .

وإذا شئتَ فانظر إلي الإنسان العربي اليوم - إلا مَن رحم الله - عندما انهمك في فعل المعاصي وتحصيل الشهوات والملذات ، استكان إلي حياة الدعة والفوضي ، فلا يُرجي من ورائه خير ولاينتظر منه تقدم ؛ فهيا بنا ياإخواني نغير هذا الواقع الأليم باتباع كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ بفهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

قال تعالي: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١] .

٨) تعميق قضية ولاء المسلم للمسلم وانتمائه لإخوانه المؤمنين فقط، وخلع الموالاة الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها ، فالمسلم أخو المسلم في أي بقعة كانت ، ودار الإسلام هي دار كل مسلم في جميع أنحاء الأرض .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٥ ، ٥٦] ومن هنا فإن نصرة المسلمين المضطهدين في شتى بقاع الأرض ودعم قضاياهم ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة أمر واجب تفرضه هذه العقيدة ولذلك علي المسلمين أن يدركوا إخوانهم المسلمين الفقراء والجوعى الذين يتعرضون لحملات تنصيرية شرسة وبخاصة في إفريقيا - بإنشاء المدارس والمستشفيات والملاجئ ، ويصاحب ذلك توعية إسلامية نشطة .

٩) تعميق قضية المعاداة والبراءة من أعداء الله الكفار منهم والمشركين والمنافقين، وأنه لا يجتمع إيمان في قلب مع حب الكفر وأهله كما قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢] والحرص على تمييز المسلم عن كل وضع وفكر يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١٠) رد الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة مبنية على ثقة المؤمن بكمال هذا الدين دون اللجوء إلى أساليب الدفاع التبريري الضعيف.

١١) الاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة والمذاهب المستوردة، والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها ومخالفتها للإسلام بأمانة وموضوعية. وأنا لن أسهب في الحديث عن المذاهب الهدامة المستوردة، ولكن سأختار منها ثلاثة مذاهب فقط ألقى الضوء عليها وأبين جوانب مخالفات تلك المذاهب للإسلام، وقد تم اختيار تلك المذاهب نظراً للدعاية الإعلامية الرهيبة التي تروج لها وهي:

١ - العلمانية. ٢ - الليبرالية. ٣ - الديمقراطية.

* * *

العلمانية

العلمانية هي: ترجمة غير صحيحة للكلمة الانجليزية secularism وهذا اشتقاق من كلمة secular وهي مرادفة للكلمة الانجليزية unreligious أي لا ديني . ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية وهكذا يتضح الأمر جليا أن العلمانية اصطلاح لا صلة له بالعلم science

* تعريف العلمانية في دائرة المعارف البريطانية: (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها) .

* تعريف العلمانية في دائرة المعارف الأمريكية: (نظام أخلاق أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة) ؛ وعلى ذلك يكون تعريف العلمانية هو: فصل الدين عن الحياة .

مخالفات العلمانية للإسلام:

أ) رفض الخضوع لحكم الله ويتمثل ذلك في النقاط الآتية:

١ - العلمانية لا تعارض أن يخضع الإنسان لربه بالعبادة بصفته الشخصية إذا أراد ذلك ، لكنها ترفض أن يخضع المجتمع لشرع الله ، بل ترى أن يختار لنفسه ما يراه أصلح في ظنه لتحقيق مصالحه . وهذا الرفض للخضوع الجماعي لله جل وعلا هو كفر به جل وعلا ، قال تعالى متوعدا من أخذ بعض ما أنزل من أحكام وترك بعضها: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ**

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٥ ، ٨٦] .

وقد أمر الله تعالى عباده بالعمل بأحكام الإسلام كافة فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

وبين الله عز وجل أن عدم الخضوع لحكمه كفر فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقد وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أحكام كثيرة تتعلق بالمسلمين كمجتمع تبين ما يحل لهم وما يحرم عليهم والعمل بها واجب بالإجماع والجحود بها كفر ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٥١] فكيف ترد هذه الأحكام أو بعضها لأن العلمانية ترفض أن يخضع المجتمع لها تحت شعار (الدين لله ، والوطن للجميع) ، أو (لا دين في السياسة ، ولا سياسة في الدين) ، أو (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ، وغيرها من الشعارات الجاهلية؟!

٢ - يزعم العلمانيون أن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية فقط .

٣ - يزعم العلمانيون أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين وأنه لا يتلاءم مع المدنية الحديثة .

٤ - يدعو العلمانيون إلى تحرير المرأة وفقاً للنموذج الغربي المنحل .

ب) العلمانية تفسح المجال لانتشار الإلحاد وعدم الانتماء والتفسخ والفساد و الانحلال .

ج) العلمانية تكرس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة ، وتهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب وينشأ بذلك مجتمع غايته متع الحياة وكل لهو رخيص .

د) العلمانية تفتح الباب على مصراعيه أمام الأخلاق الفاسدة والممارسات الدنيئة وذلك بالسماح بإقامة الملاهي الليلية ومحلات الخمور وبيوت الدعارة ونوادي القمار وغير ذلك مما يؤدي في النهاية إلى انحلال المجتمع وانهياره .

هـ) العلمانية تبيح التعامل بالربا ولا تمانع في ممارسة سياسات الاحتكار فيصبح المجتمع كالغابة يأكل القوي فيها الضعيف .

و) تزعم العلمانية أن الدين الإسلامي يقف حجر عثرة أمام التقدم العلمي وقد كذبوا والله فالإسلام كان سباقاً إلى تطبيق المنهج التجريبي ونشر العلوم .

* * *

الليبرالية

* الليبرالية: كلمة غير عربية مأخوذة من كلمة (Liberalism) في الإنجليزية وهي تعني التحررية وهي مشتقة من كلمة Liberty في اللغة الإنجليزية ومعناها الحرية .

* وعلى ذلك فالليبرالية هي مذهب فكري يركز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل أنواع السيطرة والقيود خاصة القيود السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية .

*** مخالفات الليبرالية للإسلام:**

أ) إقصاء الشريعة عن الحكم وعزلها عن الحياة ، وحصرها في نطاق المسجد والعبادات الشخصية وهو ما يعرف بالعلمانية فالدعوة الليبرالية في حقيقتها هي العلمانية ، و إن وجد فاصل بينهما فهو رقيق جداً وكأنهما وجهان لعملة واحدة .

ب) التشكيك في العقيدة الإسلامية وزعزعة الثقة بها بمختلف الأساليب والطرق الملتوية الخبيثة لأن الليبرالية ليس فيها مسلمات حتى في مجال العقيدة .

ج) إلغاء الجهاد .

د) إفساد المرأة المسلمة ، وجعلها دمية يتلاعب بها المنحرفون سلوكياً وأخلاقياً .

هـ) السماح بنشر الدعوة إلى الكفر والإلحاد ، بدعوى التسامح والانفتاح على الثقافات الأخرى واحترام حرية الرأي والنشر والتعبير .

و) الهبوط من سمو الأخلاق الإسلامية إلى حضيض الرذائل البهيمية تحت شعار الحرية الشخصية .

ز) رفض مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه يقيد الحرية الشخصية .

ح) محاربة الحكم الإسلامي باسم محاربة الإسلام السياسي .

ط) يعتبر الليبراليون الفقه الإسلامي الذي استنبطه علماء الإسلام من نصوص الكتاب والسنة هو حجر عثرة أمام التقدم .

ك) يعتبر الليبراليون أن الأحكام الشرعية وضعت لزمانها ومكانها ، وليست عابرة للتاريخ .

ل) الاستخفاف باللغة العربية .

م) اعتماد الديمقراطية كمبدأ في السياسة والحكم .

* * *

الديمقراطية

* الديمقراطية هي: كلمة مشتقة من لفظين يونانيتين (Demos الشعب) و (Keratos سلطة) وعلى ذلك فالديمقراطية هي نظام للحكم يعني أن يحكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه .

مخالفات الديمقراطية للإسلام

أ) إباحة الديمقراطية للحكم بغير ما أنزل الله:

لأن الديمقراطية تعتمد مبدأ السيادة للشعب وعلى ذلك فما رآه أغلبية الشعب حلالاً فهو حلال - وإن كان حراماً في شرع الله - وما رآه أغلبية الشعب حراماً فهو حرام - وإن كان حلالاً في شرع الله - وهذا كفر بواح بلا شك لأن مصدر التشريع في الإسلام هو شرع الله المتمثل في القرآن والسنة وليس الشعب ولا القضاة ولا المجالس النيابية .

- روى الترمذي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ [التوبة: ٣١] .

فقال للنبي ﷺ : «**إنا لسنا نعبدهم**» .

فقال ﷺ : «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**» فقال: بلى .

قال ﷺ : «**فتلك عبادتهم**» .

قال تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [المائدة:

٤٩ ، ٥٠] .

إن القارئ لهاتين الآيتين والمتدبر لهما يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى شرع الله أكد بمؤكدات ثمانية:

- الأول: الأمر في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله** ﴾ .

- الثاني: ألا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ .

- الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير والصغير والكبير وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ الله إِلَيْكَ** ﴾ .

- الرابع: التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم ، قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ﴾ .

- الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله فإن الشكور من عباد الله قليل ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ .

- السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية ، قال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ .

- السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها ، قال جل وعلا: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا** ﴾ .

- الثامن: مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأتمها وأعدلها ، وأن الواجب الانقياد له مع الرضا والتسليم ، قال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ .

ب) آفة التسوية المطلقة بين الكافة في عملية التصويت وإهدار أهلية

الاختيار: فالديمقراطية تقوم على التسوية بين الكافة في عملية التصويت فلا فرق بين الأبرار والفجار ولا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذه التسوية تناقض الوحي والعقل .

قال تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)** ﴾ [القلم: ٣٦، ٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)** ﴾ [ص: ٢٨] .

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٩] .

ج) عدم مراعاة الديمقراطية للشروط الواجبة في الإمامة ويتمثل ذلك في الآتي: -

- ١ - في النظام الإسلامي تشترط العدالة في إمام المسلمين فلا تجوز إمامة الفاسق ابتداءً ومن شروط هذه العدالة الإسلام .

قال تعالى: ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ . [النساء: ٥٩] .

أي منكم أيها المسلمون والديمقراطية لا تمنع غير المسلم من الإمامة .

- ٢ - في النظام الإسلامي يشترط أن يكون الإمام من المجتهدين وممن يصلح أن يكون قاضياً أي يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث ، أما النظام الديمقراطي فلا يشترط في اختيار رئيس الدولة مثل هذه الشروط ، فالمطلوب فقط موافقة الأغلبية عليه بصرف النظر عن أهليته الشرعية لتولي هذه المنصب .

- ٣ - اختيار الإمام وظيفة أهل الحل والعقد في الإسلام .

د) تسمح الديمقراطية للمرأة بتولي الولايات العامة ومنها رئاسة الدولة وهذه مخالفة صريحة للإسلام .

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يفلح قوم ولوا شأنهم امرأة**» .

هـ) لزوم مخالفة الديمقراطية للشرع إن عارضته الأغلبية:

فالديمقراطية تعتمد مبدأ المرجعية للأغلبية أو الأكثرية .

وليست الأكثرية دليلاً على الصواب أو الخطأ ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله** ﴾ [الأنعام: ١١٦] .

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** ﴾ [المائدة: ١٠٠] .

و) مخالفة الشورى في الديمقراطية للشورى في الإسلام:

فالديمقراطية لا تجد غضاضة في طرح الأحكام الشرعية الثابتة للتشاور والعرض والتصويت وهذا كفر بالله .

أما الشورى في الإسلام فهي مخصصة بما لم ينزل فيه وحي لذا قال الحباب بن المنذر رضي الله عنه يوم بدر للنبي ﷺ : «**هل هو منزل أنزلكه الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟**» .

ز) الحرية في الديمقراطية مطلقة لا تحدها حدود وقد أدى ذلك إلى فتح الباب على مصراعيه لمهاجمة الإسلام ونشر الكفر والإلحاد والرذيلة باسم الحريات .

أما الحرية في الاسلام فهي مبنية على آداب الشرع وحدوده .

ح) تفريق الأمة بين مؤيدين ومعارضين:

فمع تعدد الأحزاب في النظام الديمقراطي تتصارع تلك الأحزاب

فيما بينها ويصبح الصواب والخطأ و الحق والباطل على أساس النظرة الحزبية الضيقة أما في الإسلام فجميع الأمة تسير مع الحق حيث سار ولا تحيد عنه أبدا .

١٢) الاهتمام بالصحوة الاسلامية ودعم المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة والعمل الاسلامي لبناء الشخصية الاسلامية السوية التي تقدم للمجتمع الانساني صورة مشرفة للتطبيق الاسلامي علي المستوى الفردي و الجماعي وفي كل مجالات الحياة السياسية و الثقافية والاقتصادية .

١٣) الاهتمام باللغة العربية والعمل علي نشرها، ودعم تعليمها في جميع انحاء العالم باعتبارها لغة القران الكريم ، واتخاذها لغة التعليم في المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، في البلاد العربية والاسلامية .

١٤) الحرص علي بيان سماحة الاسلام ، وأنه جاء لخير الإنسان وسعادته في الدنيا والاخرة وبحيث يكون ذلك على المستوى العالمي وباللغات الحيه جميعها .

١٥) الاستفادة الفعالة، والمدروسة من الاساليب المعاصرة في الاعلام كالصحافة والقنوات الفضائية باللغات المختلفة مما يمكن من إيصال كلمة الحق والخير الى جميع انحاء العالم .

١٦) العمل على تأكيد مظاهر وحدة المسلمين وتكاملهم على كل الأصعدة وحل خلافاتهم ومنازعاتهم فيما بينهم بالطريقة السلمية وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، إفساداً لمخططات الغزو الفكري في تفتيت وحدة المسلمين وزرع الخلافات والمنازعات بينهم .

١٧) العمل على بناء قوة المسلمين واكتفائهم الذاتي اقتصادياً وعسكرياً.

١٨) التنبيه على عامة الناس بعدم التصدي للرد على أهل الفتن

والأهواء والشبهات، فالشبهات خطافة والقلوب ضعيفة .

- روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، و القائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجاً أو معاذاً فليعذ به**» .

وفي رواية لمسلم قال: «**تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليستعذ به**» .

- وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» .

قد يقول قائل: وهل نترك أهل الفتن والشبهات ينشرون شبهاتهم ويتبجحون بباطلهم؟

والجواب: **للرد على الشبهات ضوابط معينه** إن التزمنا بها حققنا خيراً كثيراً إن شاء الله وهي كالآتي:

ضوابط الرد على الشبهات:

١ - أن تكون الشبهة منتشرة بين الناس ، فلا نتكلف الرد على شبهة ميتة مستخرجة من بطون الكتب لأن ذلك يؤدي إلى انتشارها .

٢ - أن تكون الشبهة مؤثرة أو يخشى أن تؤثر على عقائد الناس

٣ - أن يتصدى للرد على الشبهات أهل العلم أصحاب العقيدة الراسخة والعلم الغزير والذكاء المتقد والبصيرة النافذة وسرعة البديهة .

٤ - أن يتم التركيز في الرد على أدلة الكتاب والسنة فهي الحجة البالغة وقاصمة الظهر لأهل الفتن والأهواء والشبهات .

٥ - أن يتم الرد في وسيله إعلامية منتشرة تساعد على وصوله إلى أكبر عدد ممكن من الناس .

١٩) إنزال العقل منزلته بلا تفريط ولا إفراط، فالعقل - كما قرر الشرع - تابع للنقل:

(أ) فلا نفرط تفريط غلاة الصوفية اللذين ألغوا عقولهم ، وكلما كان شيخهم أحمق وأجهل ، كان - عندهم - أعرف بالله وأعظم منزلة ، وهذا شر واضح وجهل فاضح .

(ب) ولا نقدس العقل كالعصرانيين العقلانيين الذين يقدسون العقل ويجعلونه نداً للشرع بل حاكماً للشرع ومقدماً عليه ، فالقرآن والسنة - عندهم - يتبعان العقل . ولا شك أن مسلك هؤلاء العصرانيين ضلال مبين وانحراف عن الصراط المستقيم وذلك للآتي:

- ١ - العقل لا يستطيع أن يهتدي بنفسه الى الطريق المستقيم دون نور من الوحي ولذلك يتبين لك عدم دقة العبارة التي يرددها بعض العامة: (ربنا عرفوه بالعقل) بل عرفنا ربنا بالوحي أولاً ثم بالعقل والدليل على ذلك أن النبي ﷺ نفسه بعقله النير الذكي لم يستطع قبل الوحي ان يتعرف على حقائق الايمان ؛ قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)** ﴾ [الشورى ٥٢] .

- ٢ - العقل لا يثبت أحكاماً من تلقاء نفسه لكنه مناط التكليف وآلة لفهم حكم الله ، فان أثبت حكماً صواباً - من خلال الاستنباط من الأدلة الشرعية - فهو في الأصل حكم لله ، وان كان غير ذلك فهو حكم بالهوي المذموم .

- ٣ - لو كان العقل يستطيع أن يهتدي وحده الى ربه ، فما فائدة

إرسال الرسل وإنزال الكتب إذن؟!

- ٤ - النصوص الشرعية ثابتة والعقل متغير تتحكم فيه عوامل كثيرة منها مقدار ما يحمله من علم، والظروف النفسية والبيئية المحيطة به، والأهواء، ووساوس الشيطان وغير ذلك. ولذلك فلا يصح أن يخضع الثابت للمتغير فما يقبله عقلي لا يقبله عقلك وما يقبله عقلك لا يقبله عقلي وهكذا، لذا كان الشرع حاكماً على عقولنا جميعاً.

- ٥ - العقل له حدوده والتي لا يستطيع أن يتعداها، والا فسروا لي أيها العصرانيون العقلانيون الماديون: كيف تتكلم النملة؟ وما هو شكل الكهرباء؟ وما هو شكل الروح؟

- ٦ - الدول الصناعية المتقدمة لم تدلهم عقولهم على الله: فمعظم هذه الدول ما بين ملحد لا يؤمن بوجود الله إلى من يعبد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - إلى من يعبد الأحبار والرهبان.

واذا شئت فانظر الى الهند الدولة النووية المتقدمة في صناعة برامج الحاسب الآلي مازالوا يعبدون البقر وبعضهم يسجد لصنم بوذا فأي عقول تلك بالله عليكم؟!

ولا تقل لي يا أخي: نحن في منأى عن ذلك، فلا أحد يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ألم تسمع ما رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (حديث رقم ٥٤٠٦) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ الله وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيين لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله**».

- ٧ - أنت مبصر وأنا مبصر، ولكن هل نرى في الظلام؟ لا نرى

شيئاً في الظلام مع أننا نملك حاسة الإبصار . لا بد من نور لكي نرى ، لابد لعقلي ولعقلك من نور النبوة ليبصر هذا العقل الحق على حقيقته .

٢٠) التأكيد علي أن العرب لايَصلحون ولايُصلحون إلا بالتزامهم بشرائع الإسلام كافة: وإذا شئتَ فانظر إلي حال العرب في جاهليتهم قبل الإسلام . . أمة ضعيفة ممزقة لايلتفت إليها أحد ، ثم انظر إلي حالهم بعد الإسلام حين تمسكوا به كمنهج حياة كيف أصبحوا سادة الدول وقادة الأمم ، ثم انظر إلي حالهم الآن بعد أن فرطوا في التزامهم بإسلامهم ونحوا شريعة ربهم كيف أصبحوا أذل الأمم .

روي أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ٣٠٩١) عن سُفْيَانُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ كُرْز بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله ، هَلْ لِلْإِسْلَامِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ: «**أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ؟**» وَقَالَ: فِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: «**نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، أَوِ الْعُجْمِ أَرَادَ الله بِهِمْ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ**— قَالَ: **ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ**» قَالَ: كَلَّا وَالله إِنْ شَاءَ الله قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ثُمَّ تَعُودُونَ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبًّا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» وَقُرِئَ عَلَى سُفْيَانَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَسَاوِدَ صُبًّا؟ قَالَ سُفْيَانُ: "الْحَيَّةُ السَّوْدَاءُ تُنْصَبُ: أَيْ تَرْتَفِعُ" .

قال الإمام ابن خلدون رحمه الله تعالي في مقدمته: "الفصل السابع والعشرون في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين علي الجملة ، والسبب في ذلك: أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة ، وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة ؛ فقلما تجتمع أهواؤهم . فإذا كان الدين بالنبوة أو

الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، والوازع عن التحاسد والتنافس . فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم علي القيام بأمر الله ، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك . "

٢١) إبراز التاريخ الإسلامي في صورته الحقيقية المشرقة بالتركيز علي سير أبطال المسلمين، وأخبار الفتوحات الإسلامية . . فتوحات العدل والرحمة التي خلصت الشعوب من الظلم والطغيان وغمرتهم بالعدل والإحسان فأقبلوا يدخلون في الإسلام أفواجاً بقلوب منشرحة ونفوس راضية وبذلك تمت لهذه الشعوب المفتوحة أعظم نعمة وهي النجاة من الخلود في النار ، والطمع في جنة الخلد والرضوان .

٢٢) التنبيه علي أنه مهما كاد الكائدون وتآمر المتآمرون فإن الإسلام منتصر – بفضل الله – في النهاية لامحالة:

– قال تعالي: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال:٣٦] .

التفسير: إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال ، ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله ، فينفقون أموالهم في ذلك ، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم ؛ لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأمُلون مِن إطفاء نور الله والصد عن سبيله ، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر . والذين كفروا إلى جهنم يحشرون

فيعذبون فيها .

- قال تعالي ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾ [غافر:٥١] .

- روي مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» .

زوي: جمع وضم .

- روي أحمد والحاكم وصححه علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تحقيق المشكاة عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقي علي ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها**» .

المدر: القري و الأمصار ، الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها يعني أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر .

- روي أحمد وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة**» ثم سكت .

ثالثا: مواجهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

وذلك باتباع السبل التالية: -

(١) التحذير من خطورة الكذب على النبي ﷺ من خلال النصوص الشرعية:

١ - روي البخاري عن علي رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ**».

٢ - روي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

٣ - روي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

٤ - روي البخاري ومسلم عَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

٥ - روي البخاري عن عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: إِنِّي لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

٦ - روي البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

٧ - روي البخاري عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: "قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ**».

٨ - روي مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**».

(٢) التنبيه علي حكم العمل بالحديث الضعيف، وهو كالآتي:

المذاهب في الضعيف ثلاثة:

- المذهب الأول: لا يعمل به مطلقًا؛ لا في الأحكام، ولا في الفضائل. حكاه ابن سيد الناس في عيون الأثر، عن يحيى بن معين، ونسبه في فتح المغيث لأبي بكر بن العربي، والظاهر أن مذهب البخاري ومسلم ذلك أيضًا يدل عليه شرط البخاري في صحيحه، وتشنيع الإمام مسلم على رواة الضعيف وعدم إخراجهما في صحيحيهما شيئًا منه، وهذا مذهب ابن حزم رحمه الله أيضًا.

* قال الشيخ الألباني في تمام المنة في التعليق علي فقه السنة: (وهذا هو الحق الذي لا شك فيه عندي).

* قال الشيخ أحمد شاكر في الباعث الحثيث: "لا فرق بين الأحكام وبين فضائل الأعمال ونحوها في عدم الأخذ بالرواية الضعيفة، بل لا حجة لأحد إلا بما صح عن رسول الله ﷺ من حديث صحيح أو حسن".

- المذهب الثاني: أنه يعمل به مطلقًا: وعزى السيوطي ذلك إلى أحمد وأبي داود لأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال.

- المذهب الثالث: يعمل به في فضائل الأعمال:

قلتُ: أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها لا في أصل ثبوتها، فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق من أهل العلم أجمعين.

أي أن الحديث الضعيف لاينبني عليه حكم بالاستحباب استقلالاً وإنما يأتي تابعاً للدليل الصحيح .

نقل الحافظ السيوطي في تدريب الراوي شروط العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال عن الحافظ ابن حجر وهي:

١ - أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين ، والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه .

قلتُ: وهذا الشرط يحصر العمل به في طائفة العلماء وطلاب العلم المشتغلين بالحديث ، إذ أنه لايتأتي لطالب علمٍ من غير المشتغلين بالحديث معرفة درجة ضعف الحديث فضلاً عن عامي من العوام .

٢ - أن يندرج تحت أصل معمول به .

قلتُ: وهذا غير مسلّم ، لأن بعض البدع تندرج تحت أصل عام ، ومع ذلك فهي غير مشروعة ، وهي التي يسميها الإمام الشاطبي بالبدعة الإضافية.

٣ - أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله في مجموع الفتاوي: (لا يجوز أن يعتمد في الشريعة علي الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة) .

وقال أيضاً: (ولم يقل أحد من الأئمة أنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف . ومن قال هذا فقد خالف الإجماع) .

ثم قال: (ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه ، ولكن كان في عرف أحمد بن حنبل ومن قبله من العلماء أن الحديث ينقسم إلى

نوعين: صحيح وضعيف . والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به ، وإلى ضعيف حسن . كما أن ضعف الإنسان بالمرض ينقسم إلى: مرض مخوف يمنع التبرع من رأس المال ، وإلى ضعف خفيف لا يمنع من ذلك . وأول من عرف أنه قسم الحديث ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف هو أبو عيسى الترمذي في جامعه . والحسن عنده ما تعددت طرقه ولم يكن في رواته متهم وليس بشاذ فهذا الحديث وأمثاله يسميه أحمد ضعيفاً ويحتج به ولهذا يوجد في كلام أحمد وغيره من الفقهاء أنهم يحتجون بالحديث الضعيف كحديث عمرو بن شعيب وإبراهيم الهجري وغيرهما فان ذلك الذي سماه أولئك ضعيفاً هو أرفع من كثير من الحسن بل هو مما يجعله كثير من الناس صحيحاً) .

- قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في الثمر المستطاب: (والذي أعتقده وأدين الله به أن الحق في هذه المسألة مع العلماء الذين ذهبوا إلى ترك العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وذلك لأمور:

أولا: أن الحديث الضعيف لا يفيد إلا الظن اتفاقاً والعمل بالظن لا يجوز لقوله تعالى: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ [النجم: ٢٨] وقوله ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**» .

ثانيا: أن النبي ﷺ أمرنا باجتناب الرواية عنه إلا ما علمنا صحته عنه فقال: «**اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ**» ومن المعلوم أن رواية الحديث إنما هي وسيلة للعمل بما ثبت فيه فإذا كان عليه الصلاة والسلام ينهانا عن رواية ما لم يثبت عنه فمن باب أولى أن ينهى عن العمل به . وهذا بين واضح .

ثالثا: أن فيما ثبت عنه ﷺ غنية عما لم يثبت كما هو الأمر في هذه

المسألة فإن هذا الحديث الصحيح بعمومه يغني عن الحديث الضعيف) .

(٣) لا يجوز ذكر الحديث الضعيف إلا مع بيان ضعفه فمثلاً إذا نقل الخطيب أو الداعية حديثاً ضعيفاً ، فإنه يجب أن يذكره بصيغة التمريض كأن يقول: «رُوِى عن النبي ﷺ هذا الحديث وهو ضعيف» ؛ لئلا يغتر به القارئ أو السامع .

ويري بعض العلماء - وهو الحق الذي يتفق مع الواقع - أن صيغة التمريض مثل رُوي وبلغنا لا تكفي اليوم لغلبة الجهل ، فإنه لا يكاد يفهم أحد من كتب المؤلف أو قول الخطيب على المنبر: »رُوي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا « أنه حديث ضعيف ، بل لابد من التصريح بضعف الحديث .

أما الحديث الموضوع - المكذوب علي النبي ﷺ - فلا يجوز ذكره مطلقاً إلا للتحذير منه .

(٤) الأفضل أن يتجنب الخطيب أو الداعية ذكر الأحاديث الضعيفة ، فإنه لا خير فيها ، ولا نور عليها ، بل إن ذكرها وحملها وتبليغها إلى الناس له دور خطير في نشر العقائد الفاسدة ، والبدع والضلالات ، لا سيما وأن العامة لا تمحيص ولا تثبت لديهم لأن من القواعد المقررة عندهم: (أن كل ما قيل في المحراب فهو صواب) ، فسرعان ما تنتشر مثل هذه الأمور فيما بينهم لتعلقها بالغرائب ، مع الاستهانة بما يترتب عليها من مفاسد .

ولا يعفى الخطيب من التبعة أن يكون حسن النية سليم القصد ، هدفه التأثير في القلوب ، والترغيب في الإصلاح فإن الغاية المشروعة لا تبرر الوسيلة .

(٥) إذا لم يكن الخطيب من أهل العلم فعليه أن يرجع إلى كتب الحديث التي تقتصر على الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ،

وصحيح مسلم ، أو الرجوع إلى الكتب المعتمدة التي تكون الأحاديث فيها مخرجة تخريجاً علمياً .

(٦) اعلم أخي الخطيب - رحمني الله وإياك - أن كثيراً من الناس ينقل عنك ، يصحح ما صححت ويضعف ما ضعفت ، ويحتج بما أوردت ، وإن هذا العلم دين ، ثم احذر من التساهل في ذكر المنامات والرؤى والقصص الواقعية ، أو القصص التي لم تقع في زماننا ، والحكايات والمواقف المختلفة ، فلا تذكرها حتى تتفحصها وتقلبها وتمحصها ، وتدرس الآثار التي يمكن أن تنعكس على الناس من جرائها في اعتقادهم ، وتصوراتهم وأخلاقهم ، ولا يكن همك لفت أنظار الناس ، ونيل إعجابهم بهذا الإغراب مهما كانت نتائجه وآثاره .

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء:٣٦] ومعنى (لا تقف): قيل: لا تتبع ، وقيل: لا تقف على ذلك ، وقيل: لا تورده على الناس وأنت لم تتحقق منه ، وقيل: لا تشيعه بين الناس فإن بعض الناس يحدث بكل ما سمع .

(٧) الحذر من استنباط الأحكام من الأحاديث الضعيفة والموضوعة أو الاحتجاج بها ، فتجد مثلاً في بعض كتب الفقه: وضع اليدين تحت السرة ، أو مثلاً دفن الشعر والأظفار ، أو عدم استقبال الشمس والقمر أثناء قضاء الحاجة ، أو إعادة الوضوء من القهقهة ، هذه الأحاديث كلها ضعيفة ، لا يصح الاحتجاج بها ، ولا الاعتماد عليها ، فلا بد من الحذر أثناء القراءة في كتب الفقه من هذا الأمر .

(٨) تقديم العلماء والدعاة العلم النافع إلى من حولهم من المسلمين ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يقوموا بتصفية العلم الذي توارثوه

مما دخل فيه من من الأحاديث الضعيفة والموضوعة وما يلي ذلك من تصفية كتب الفقه مما فيها من الآراء والاجتهادات المخالفة للسنة الصحيحة ، حتى تكون عبادتهم مقبولة .

(٩) يجب علي الرجل العامي - الذي لا يستطيع أن يبحث - أن يسأل العلماء ، فإذا لم يجد عالماً فعليه أن يسأل طالب علم موثوق يرجع إلى كتب العلماء ليخبره ما هي درجة الحديث الذي سمعه .

قال تعالي: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنبياء:٧] .

قال تعالي: ﴿ **الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً** ﴾ [الفرقان:٥٩] .

ويحسن بك يا أخي أيضاً أن تتبع الآتي:

١ - تواظب على القراءة في الكتب التي تنتقي الأحاديث الصحيحة مثل كتاب رياض الصالحين فهو من أنفع الكتب ، خاصةً مع شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

٢ - عليك أن تتجنب القراءة في الكتب ذات الأحاديث غير الموثوق بها أو غير المحققة ، لأن بعض الكتب تكثر فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة مثل: بستان العارفين ، أو إحياء علوم الدين وغيرها .

(١٠) بسبب وجود بعض الأحاديث الضعيفة في بعض كتب السنة - رغم أن العلماء نبهوا عليها وميزوا الصحيح من الضعيف - انقسم أهل الأهواء والمغرضون والجهال إلي فريقين علي طرفي نقيض:

* الفريق الأول يزعم وجود بعض الأحاديث الضعيفة في صحيحي البخاري ومسلم متستراً بعباءة النقد العلمي البناء متذرعاً بأن السنة لم تحفظ وأن القرآن فقط هو الذي تكفل الله بحفظه ، ومادري هؤلاء أن الشريعة كلها من كتاب وسنة محفوظة بحفظ الله تبارك وتعالي لها .

قال تعالي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

وهؤلاء في الحقيقة جهال مغرضون تربوا علي موائد الغرب والمشكلة ليست في هؤلاء بقدر ماهي في عوام المسلمين البسطاء الذين يتأثرون بمثل هذا الكلام ، فإلي كل هؤلاء أقول: كل أحاديث البخاري ومسلم صحيحة ، وذلك لعدة أسباب ذكرها الدكتور على عبد الباسط مزيد في كتابه "منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر" قال فيها ما ملخصه:

١ - جزم الشيخان بصحة أحاديثهما ، وأنها منتقاة ومنتخبة من مئات الآلاف من الأحاديث ، وأنهما التزما الصحة ، فلم يوردا إلا الصحيح من حديث رسول الله ﷺ .

٢ - تعارض قول هؤلاء مع ما اتُفِقَ عليه من صحة الكتابين:

فقد انعقد الإجماع على صحة هذين الكتابين ، وأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى ، وقد حَكَى هذا الإجماع جمع من الأئمة والحفاظ منهم:

الحافظ ابن حجر ، وشيخه سراج الدين البلقيني ، والحافظ ابن طاهر المقدسي ، وأبو بكر الجوزقي ، وأبو عبد الله الحميدي ، وابن تيمية ، والشوكاني ، والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي ، وابن الصلاح ، وأبو إسحاق الإسفرائيني ، والنووي ، وإمام الحرمين ، والسخاوي ، والقسطلاني ، والسيوطي ، والشيخ أبو الفتح القشيري . فهؤلاء - وغيرهم - نقلوا الإجماع على صحة ما اتفق عليه الشيخان ، وما انفرد به أحدهما من المسندات .

قال الشوكاني: "ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم ؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه" .

وقال الشيخ الألباني في مقدمة شرح العقيدة الطحاوية: "والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم، فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة، على قواعد متينة وشروط دقيقة، وقد وفقوا في ذلك توفيقًا بالغًا لم يوفق إليه من بعدهم، ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح؛ كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم، حتى صار عرفًا أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة، ولا ريب في ذلك، وأنه هو الأصل عندنا.

قال تعالي: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

وجه الدلالة في الآية الكريمة: أن الله تبارك وتعالي توعد بالعقاب مَن يتبع غير سبيل المؤمنين - ومعني سبيل المؤمنين: ما اجتمعوا عليه من قول أو فعل أو اعتقاد - وهذا يدل علي وجوب متابعة سبيل المؤمنين؛ إذن سبيل المؤمنين حجة ملزمة لايسع أحد أن يحيد عنها.

٣ - تلقي الأمة لأحاديث الصحيحين بالقبول.

قال أبو أسحق الإسفراييني: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها، ومتونها ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها. وقال: "فمن خالف حكمه خبرًا منها وليس له تأويل سائغ للخبر نقضنا حكمه لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول".

قال ابن الصلاح: "جميع ما حكم مسلم بصحته في هذا الكتاب،

فهو مقطوع بصحته ، والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر ، وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه ؛ وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول".

٤ - تعارض قول هؤلاء مع ما اتفق عليه العلماء المعاصرون للشيخين على صحة الكتابين:

لا يختلف اثنان في أن أعلم أهل الحديث دراية وجرحًا وتعديلًا وخبرة بعلل الحديث وطرقه هم الأئمة: يحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وأبو زرعة الرازي ، وأحمد بن حنبل ، كما أنهم من أعلم أهل الاستقراء والتتبع وجمع الطرق ، وقد كان هؤلاء بمثابة الشيوخ والأقران للإمامين البخاري ومسلم ؛ لأنهم كانوا معاصرين لهما ، وقد عرض الشيخان صحيحيهما - بعد الانتهاء منهما - على هؤلاء وغيرهم من أئمة عصرهما ، فأقروهما وشهدوا لهما بالصحة .

قال أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي: لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني وغيرهم ، فأستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث .

قال العقيلي: "والقول فيها قول البخاري ، وهي صحيحة".

قال مكي بن عبد الله: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: "عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي ، فكل ما أشار أن له علة تركته".

قال الإمام مسلم: "ليس كل شيء صحيح وضعته هاهنا ، إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه"، قال سراج الدين البلقيني: "أراد مسلم بقوله: "ما أجمعوا عليه" أربعة: أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعثمان بن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور الخراساني".

فطعون المنتقدين لا تستحق الالتفات إليها أو الاهتمام بها ؛ لأنها

متعارضة مع تصحيح أسيادهم أئمة الجرح والتعديل والمجتهدين فيه ، وخبراء الرواية والدراية والعلل والأسانيد ، وخاصة إذا علمنا أن من هؤلاء الأعلام المتشدد الذي يطعن بالغلطة والغلطتين والمتوسط المعتدل ، وليس فيهم المتساهل ، فقول هؤلاء أولى بالأخذ به ، ويستدل بشهادتهم وإقرارهم وإستحسانهم على صحة هذه الأحاديث في هذين الكتابين .

٥ - تعارض قول هؤلاء مع ورود هذه الأحاديث المنتقدة في المستخرجات سليمة من كل ما أُعلت به .

وهذه فائدة من فوائد المستخرجات على الصحيحين ، قال الحافظ ابن حجر: "وكل علة أعل بها حديث في أحد الصحيحين جاءت رواية المستخرج سالمة منها ، فهي من فوائده ، وذلك كثير جدًّا" .

المستخرج: هو أن يأتي المصنف إلي كتاب من كتب الحديث فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه ، من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه في شيخه ، أو في من فوقه - ولو في الصحابي - مع رعاية ترتيبه ، ومتونه ، وطرق أسانيده .

* الفريق الثاني دعا إلي الاكتفاء بالصحيحين وادعي أن هذا القول هو قول جمهور العلماء بحجة وجود أحاديث ضعيفة في كتب السنة الأخري ، والواقع يقول بأن هذا القول هو قول جمهور الجهلاء وليس جمهور العلماء ، والمفاجأة الكبري هي أن أقوال الإمامين البخاري ومسلم تدحض هذا الزعم وتنسفه من قواعده .

قال الإمام البخاري رحمه الله: (أحفظ مائة ألف حديث صحيح)

قلتُ: اعلم أخي الكريم أن مجموع أحاديث صحيح البخاري كما ذكره الحافظ بن حجر رحمه الله ألفان وستمائة واثنان حديثاً ، وبالمكرر سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً .

وقال الإمام البخاري أيضاً: (أخرجت هذا الكتاب - يعني الصحيح - من زهاء ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة بيني وبين الله .)

قال الإمام مسلم رحمه الله: (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة) .

وقال أيضاً: (ليس كل شئ عندي صحيح وضعته ههنا) .

- قال الدكتور: محمد بن محمد أبو شُهبة في كتابه "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث": لم يستوعب البخاري ومسلم في صحيحهما كل الأحاديث الصحيحة ، ولا التزما إخراج كل الصحاح ، وإنما أخرجا من الصحيح ما هو على شرطهما ، وليس أدل على ذلك من مقالتهما روي عن البخاري أنه قال: "ما وضعت في كتابي الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحاح مخافة الطول" وقال مسلم في صحيحه: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا ، إنما وضعت ما أجمعوا عليه" .

ويدل على ذلك أيضا أنهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما ، وأن الترمذي وغيره كثيرا ما ينقل عن البخاري تصحيح أحاديث ليست في الصحيح ، وإنما هي في السنن وغيرها .

وأيضا فإننا لو تصفحنا كتب الحديث المعتمدة غير الصحيحين نجد فيهما أحاديث كثيرة صحيحة وليست في واحد من الصحيحين ، فمسند الإمام أحمد فيه أحاديث كثيرة ليست في الصحيحين وفي كتب الأحاديث التي التزمت الصحة كصحيح ابن خزيمة و"المختارة" للمقدسي أحاديث ليست في الصحيحين ولا أحدهما .

قال الحافظ ابن كثير في اختصار علوم الحديث: "وقد خرجت كتب كثيرة على الصحيحين ، يؤخذ منها زيادات مفيدة ، وأسانيد جيدة ، كصحيح أبي عوانة ، وأبي بكر الإسماعيلي ، والبرقاني ، أبي نعيم الأصبهاني وغيرهم . وكتب

أخر التزم أصحابها صحتها ، كابن خزيمة ، وابن حيان البستي ، وهما خير من المستدرك بكثير ، وأنظف أسانيد ومتوناً .

وكذلك يوجد في مسند الإمام أحمد من الأسانيد والمتون شيء كثير مما يوازي كثيراً من أحاديث مسلم ، بل والبخاري أيضاً ، وليست عندهما ، ولا عند أحدهما ، بل ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الأربعة ، وهم: أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة . وكذلك يوجد في معجمي الطبراني الكبير والأوسط ، ومسندي أبي يعلى والبزار ، وغير ذلك من المسانيد والمعاجم والفوائد والأجزاء: ما يتمكن المتبحر في هذا الشأن من الحكم بصحة كثير منه ، بعد النظر في حال رجاله ، وسلامته من التعليل المفسد".

أسأل الله العظيم أن يجعلني وكل قارئ وكل سامع حراساً لهذا الدين من كيد الكائدين وعبث العابثين وجهل الجاهلين ، كما أسأله سبحانه أن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ كما يحب ربنا ويرضي .

رابعًا: مواجهة التقليد الأعمى:

وذلك بمراعاة شروط التقليد الجائز التي سبق أن أشرنا إليها في صفحة: ١١٦

خامسًا: مواجهة ظاهرة تتبع الرخص:

وذلك عن طريق النقاط التالية: -

١) **وجوب التحاكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وعدم العدول عنهما** بأي حال من الأحوال في جميع مسائل الدين مع رد النزاع في أي مسألة إلى القرآن والسنة .

قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)** ﴾ [النساء: ٥٩] .

٢) فهم القرآن والسنة بفهم سلف الأمة وعلى رأسهم الصحابة فهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ.

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

٣) اعتبار حجية الاجماع وعدم خرقه أو التقليل من شأنه، والدليل على حجية الاجماع: قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)**﴾ [النساء: ١١٥].

ووجه الدلالة من الآية ظاهر حيث توعد الله عز وجل من خالف سبيل المؤمنين بالعذاب فوجب اتباع سبيلهم وما ذاك إلا لأنه حجة.

٤) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ينفي أن يكون للمؤمنين خيار إذا جاءهم الأمر من الله أو رسوله ﷺ فكيف يزعم متتبعو الرخص بعد هذا البيان الواضح أن لهم أن يختاروا ما يشاؤون من الآراء الفقهية التي لا تستند إلي دليل؟!!

٥) لا بد من الرجوع في المسائل المتنازع فيها الى العلماء الربانيين المشهود لهم بالعلم والتقوى.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)**﴾ [النساء:٨٣]

٦) وجوب توعية الناس وتحذيرهم من هذا المسلك وهذا

الطريق باستخدام جميع الوسائل المتاحة من محاضرات ورسائل وأشرطة وخطب وغيرها .

٧) **العناية باختيار مقدمي برامج الافتاء في القنوات الفضائية و الإذاعية،** على أن يكونوا مؤهلين شرعياً للتصدر لإدارة هذه البرامج من إحاطة بنصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة مع الذكاء والفطنة وسرعة البديهة .

٨) **سرعة الرد على بعض الفتاوى أو الآراء الشاذة التي نشرها أصحابها لعامة الناس** حتى يمكننا أن نتدارك الخلل الذي تحدثه تلك الآراء الشاذة في دين الناس .

٩) **التنبيه على ان العلماء والأئمة صرحوا بأن كل قول صدر منهم مخالفاً للكتاب والسنة فلا يحل لأحد أن يتبعهم عليه** فالعلماء والأئمة لم يقصدوا مخالفة الكتاب والسنة وهم مجتهدون معذورون في خطأ الاجتهاد ، أما مقلدوهم - الذين اتضح لهم الدليل - فلا عذر لهم .

سادسًا: مواجهة اتباع المتشابه:

وذلك عن طريق النقاط التالية:

(١) التنبيه علي خطورة اتباع المتشابه من خلال النصوص الشرعية:

١ - روي البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» .

٢ - روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**» .

٣ - روي أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٢٦٤١] عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**» .

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - في جامع الأصول: (يتجارى الكَلَب: التّجاري: تفاعل من الجري ، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة ، والتداعي فيها ، تشبيهاً بجري الفرس . والكَلَب: داء معروف يعرض للكلب ، إذا عض حيواناً عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك) .

(٢) اتباع طريقة الصحابة والتابعين في التعامل مع المحكم والمتشابه: وهي أن يعمل المسلم بما استبان له ، وأن يؤمن بما اشتبه عليه ، وأن لا يفسره بما يخالفِ المحكم بل يرد المتشابه إلى المحكم ، ويأخذ من المحكم ما يفسر له المتشابه ويبينه ، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم ، وتوافق النصوص بعضها بعضًا ، ويصدق بعضها بعضًا ، فإنها كلها من عند الله ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره .

- ملاحظة: لاريب أن العامي ليس له قدرة علي رد المتشابه إلي المحكم وإنما الواجب عليه إذا استشكل أو التبس عليه نص من

النصوص الشرعية أن يسأل أهل العلم الذين يسيرون على طريقة السلف في المنهج والقول والعمل ؛ قال تعالي: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٤٣] .

(٣) الحذر من طريقة أهل البدع والأهواء ؛ فإنهم تَارَةً يَحْتَجُّونَ بِالمتشابه عَلَى الْبَاطِلِ ، وَتَارَةً يَدْفَعُونَ بِهِ الْحَقَّ .

ولأهل الزيغ طريقان في رد السنن كما قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين:

١ - رد السنن الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمتشابه من القرآن أو من السنة .

٢ - جعل المحكم متشابهًا ليعطلوا دلالته .

فاثبت يا أخي علي الحق ولا تلتفت إلي جدل هؤلاء ؛ قال الإمام مالك رحمه الله تعالي: (أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، تركنا ما نزل به جبريل علي محمد صلي الله عليه وسلم لجدله) .

(٤) الحذر من اتّباع المتشابه في الأحكام ؛ لأن من شأنه أن يزيل الورع من الإنسان إلى أن يصل به إلى الحرام:

روي البخاري ومسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - : «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» .

(٥) التنبيه علي أن من يسلك هذا الطريق المظلم – طريق اتباع المتشابه – إنما يبتغي الفتنة لمرض في قلبه ، وهذا المرض: إما أن يكون بشبهة ودواؤه العلم ، وإما أن يكون بشهوة ؛ كمن يريد بفعله عَرَضاً من الدنيا ، ودواؤه تقوى الله – تعالى – والخوف منه .

(٦) الناس تجاه اشتباه النصوص واشتباه الأحكام على فريقين:

الفريق الأول: أهل الإيمان القوي والعلم الراسخ ، ومن تبع جادتهم ؛ فهؤلاء يتثبتون أمام المتشابهات ولا يتزعزعون ؛ لقوة إيمانهم بدينهم ، ورسوخهم في علوم الشريعة ؛ فلا يتركون المحكم لأجل المتشابه ، ولا يضربون النصوص بعضها ببعض ، ويقابلون المتشابه بما أخبر الله – تعالى – عنهم ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ [آل عمران: ٧] ، كما أنهم يتورعون عن المشتبه بين الحلال والحرام في الأحكام ؛ عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» .

الفريق الثاني: ضعيفو الإيمان ، وليس لهم رسوخ في العلم ؛ فأي وارد لشبهة يميد بهم ، فتزيغ بالمتشابهات قلوبهم ؛ كما ذكر الله – تعالى – حالهم بقوله: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران: ٧] . ويتساهلون في مشتبه الأحكام حتى يجاوز بهم إلى الحرام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**» .

فأي الفريقين تختار لنفسك ياأخي ؟!!

(٧) الحذر من مجالسة مَن فتنوا في دينهم – باتباع المتشابه وترك المحكم – إلا على وجه الإنكار عليهم لمن قدر على ذلك ، والحذر من الاستماع لشبهاتهم في الدين ؛ ولا سيما لمن لم يتحصن بعلم وإيمان يرد به شبهاتهم ، والحذر من الترويج لشبهاتهم أو إعانتهم على نشرها بأي

وسيلة كانت ؛ لأن فيها إضراراً بالعامة وتلبيساً عليهم في دينهم ؛ فإذا أردتَ ياأخي أن تنجو بدينك فلا تقرب أحداً من أهل الزيغ والضلال بل إن استطعتَ أن تفر منه فرارك من الأسد فافعل ، وهاهي جملة من أقوال السلف الصالح توضح هذا المنهج:

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تجالس أهل الأهواء ؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب) .

- قال يحيي بن أبي كثير: (إذا رأيت المبتدع في طريق ؛ فخذ في غيره .)

- كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء ، قال: (أما إني علي بينة من ديني ، وأما أنت فشاك ، اذهب إلي شاك مثلك فخاصمه .)

- قال أبو قلابة - رحمه الله تعالى -: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ؛ فإني لا آمن أنّ يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم ما تعرفون) .

(٨) إذا وردت الشبهة على القلب عبر سماعها أو قراءتها في وسيلة إعلامية ، أو تداولها في مجلس ونحوه فعلى من أراد سلامة قلبه أن يدفعها بالإيمان والذكر والإنكار علي قائلها ، ويزيل أثرها بسؤال الراسخين في العلم ؛ ذلك بأن أهل الشبهات يضربون ما استقر عند الناس من المحكمات بالمتشابهات ، وربما كذبوا في ما أوردوا من نصوص ، أو كيفوها ؛ بحيث لا يستطيع من يجادلهم لأول وهلة أن يدفع شبهاتهم عن المحكمات إلا بعد بحث وتأمُّل .

روي مسلم عن حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا**

دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» .

قال الشيخ محمد عبد الباقي رحمه الله تعليقاً علي هذا الحديث ما ملخصه:

(تعرض الفتن) أي تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به (فأي قلب أشربها) أي دخلت فيه دخولا تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى: "وأشربوا في قلوبهم العجل" أي حب العجل ومنه قولهم ثوب مشرب بحمرة أي خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها (نكت فيه نكتة) أي نقط نقطة ، قال ابن دريد وغيره كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت (أنكرها) ردها (مثل الصفا) قال القاضي عياض رحمه الله ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء (مربادا) شيء من بياض يسير يخالط السواد (مجخيا) معناه مائلاً أو منكوساً (قوله: كالكوز مجخيا) أي لا يعلق به خير ولا حكمة) .

(٩) التسلح بسلاح العلم الشرعي المؤسس علي عقيدة السلف الصالح فهو أقوي سلاح يدفع الشبهات ويدحضها وينسفها من قواعدها .

روي الدارمي ، واللالكائي ، والآجري في الشريعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إنه سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: (فَمَتَى بَاشر الْقلب حَقِيقَة الْعلم لم تُؤثر تِلْكَ الشُّبْهَة فِيهِ بل يقوى علمه ويقينه بردهَا

وَمَعْرِفَة بُطْلَانهَا وَمَتى لم يُبَاشر حَقِيقَة الْعلم بِالْحَقِّ قلبه قدحت فِيهِ الشَّك بِأول وهلة فان تداركها والا تَتَابَعَت على قلبه امثالها حَتَّى يصير شاكاً مُرْتَاباً وَالْقلب يتوارده جيشان من الْبَاطِل جَيش شهوات الغي وجيش شُبُهَات الْبَاطِل فأيما قلب صغا إليها وركن إليها تشربها وامتلأ بهَا فينضح لِسَانه وجوارحه بموجبها فَإِن أشرب شُبُهَات الْبَاطِل تَفَجَّرَتْ على لِسَانه الشكوك والشبهات والإيرادات فيظن الْجَاهِل إن ذَلِك لسعة علمه وَإِنَّمَا ذَلِك من عدم علمه ويقينه .)

(١٠) الانكسار لله تبارك وتعالي والتضرع إليه أن يحفظ قلوبنا من الزيغ والانحراف ، وأذكر نفسي وإياك يا أخي بهذا الدعاء القرآني العظيم:

قال تعالي: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران: ٨] .

(١١) يجب علي ولي الأمر المسلم أن يتحمل مسئوليته في حراسة دين الناس من عبث العابثين وزيغ الزائغين الذين يتبعون المتشابه فيَضلون ويُضلون ، وله في عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدوة الحسنة: أخرج الدارمي في "سننه" ، والآجري في "الشريعة" ، واللالكائي أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل قَدِمَ المدينة وكانت عنده كتب ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فبعث إليه ، وقد أَعَدَّ له عراجين النخل ، فلمَّا دخل عليه جلس ، فقال له عمر رضي الله عنه: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صُبيغ ، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا عبد الله عمر ، ثم أهوى إليه ، فجعل يضربه بتلك العراجين ، فما زال يضربه حتى شجَّه ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، فقال: حسبُك يا أميرَ المؤمنينَ ، فقد واللهِ ذَهَبَ الذي كنتُ أَجِدُ في رأسي .

قَالَ الزهرى: لما خرجت الحرورية (الخوارج) قيل لصبيغ: قد خرج قوم يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا .

قَالَ: هَيْهَات قد نفعنى الله بموعظة الرجل الصَّالح [يقصد عمر بن الخطاب] .

سابعًا: علاج الكبر:

وذلك عن طريق الخطوات التالية:

١) تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على الكبر سواء كانت دنيوية أو أخروية ، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها ويحملها على أن تتوب ، وتتدارك أمرها قبل ضياع العمر وفوات الأوان .

٢) عيادة المرضى ومشاهدة المحتضرين وأهل البلاء وتشييع الجنائز وزيارة القبور، فلعل ذلك أيضاً يحرك المتكبر من داخله ويدفعه إلى التوبة والعودة إلى ربه نادماً متواضعاً .

٣) الانسلاخ من صحبة المتكبرين والعمل على مصاحبة المتواضعين فلعل هذه الصحبة تنعكس بشكل إيجابي على المتكبر وتجعله يثوب إلى رشده ويقلع عن الكبر .

٤) مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوي العاهات منهم كما كان يصنع النبي ﷺ وصحبه الكرام فهذا مما يهذب النفس ويجعلها تقلع عن غيها وتعود الى رشدها .

٥) التفكير في النفس وفي الكون وفي كل النعم التي تحيط به من كل مكان من مصدر ذلك كله؟ ومن ممسكه؟ وكيف تكون حاله لو سلبت منه نعمة واحدة فضلاً عن باقي النعم؟

فإن ذلك التفكر لو كانت معه جدية ، يحرك النفس ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه إن لم تبادر بالتوبة والرجوع الى ربها .

٦) **النظر في سير وأخبار المتكبرين، كيف كانوا؟ والى أي شيء صاروا؟** من إبليس والنمرود إلى فرعون ، إلى هامان ، إلى قارون ، إلى أبي جهل ، إلى سائر الطغاة والجبارين في كل العصور ، فإن ذلك مما يخوف النفس ويحملها على التوبة خشية أن تصير إلى نفس المصير .

٧) **حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابهون** لا سيما مجالس التذكير والتزكية ، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترق وتلين وتعود إليها الحياة من جديد .

٨) **حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها بعض الناس ممارسة ذاتية** مادامت مشروعة ، كأن يقوم هذا المتكبر بشراء طعامه وشرابه وسائر ما يلزمه بنفسه ويحرص على حمله والمشي به بين الناس ، حتى لو كان له خادم على نحو ما كان يصنع النبي ﷺ وصحبه والسلف ، فإن هذا يساعد كثيراً في تهذيب النفس وتأديبها ، والرجوع بها إلى سيرتها الأولى الفطرية .

٩) **الاعتذار لمن تطاول عليهم بسخرية أو استهزاء**، بل ووضع الخد على التراب وإلصاقه به ، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال لما عاب النبي ﷺ على أبي ذر تعييره لبلال بسواد أمه .

١٠) **التذكير دوماً بمعايير التفاضل والتقدم في الإسلام:**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣] .

* * *

الباب الرابع:
ثمرات السرور على طريق النور

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ثمرات تحقيق التوحيد

الفصل الثاني: ثمرات تحقيق الإخلاص

الفصل الثالث: ثمرات تحقيق المتابعة

الفصل الأول:
ثمرات تحقيق التوحيد

التوحيد له فضائل عظيمة وآثار حميدة وثمرات جميلة ومن ذلك ما يأتي:

١- دوام الفقر إلى الله على جميع الأحوال، ومتى صح الافتقار إلى الله عز وجل فقد صح الاستغناء بالله تعالى، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به.

٢- متى اعتاد الإنسان سؤال الله تعالى وحده فتح لنفسه أبواب الإيمان بالتوحيد، وأغلق عنها أبواب الشرك.

٣- التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة.

٤- التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب.

روى البخاري ومسلم عن عتبان بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**فإن الله حرم على النار مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

٥- التوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

٦- التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة.

قال الله جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].

٧- جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها، وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

٨- يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات.

٩- يدخل الله به الموحدين الجنة ، روى البخاري ومسلم عن عبادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» .

١٠- التوحيد يسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات ، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه .

١١- تكفل الله لأهل التوحيد بالفتح والنصر في الدنيا ، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى ، وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال .

١٢- التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام ، فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيراً ، وتضاعف أعماله ، وأقواله الطيبة بغير حصر ، ولا حساب .

١٣- الله عز وجل يدفع عن المؤمنين الموحدين شرور الدنيا والآخرة ، ويمن عليهم بالحياة الطيبة ، والطمأنينة إليه ، والأنس بذكره .

١٤- التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

١٥- التوحيد يخفف عن العبد المكاره ، ويهون عليه الآلام ، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة .

١٦- التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي .

١٧- التوحيد يجعل العبد على يقين أنه ما من شدة إلا ويعقبها رخاء، وما من عسر إلا وبعده يسر.

١٨- التوحيد يقوي قلب العبد، ويزرع فيه الشجاعة والإقدام فيندفع العبد إلى الجهاد في سبيل الله بنفس تواقة إلى ما عند الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا يخشى في الله لومة لائم.

١٩- التوحيد يدفع العبد إلى الأخلاق الطيبة والصفات الحسنة فتستقيم جوارحه على طاعة الله ويسعد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣].

* * *

الفصل الثاني:
ثمرات تحقيق الإخلاص

(١) الشعور بالاطمئنان وسكينة الإيمان، مما يجلب له السعادة وصلاح البال؛ قال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح:١٨]، لقد علم الله ما في قلوبهم من الإخلاص وصدق النية والوفاء فأنزل السكينة عليهم والسكينة هي الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من دينهم، وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له.

(٢) يبلغ العبد بإخلاصه مالا يبلغه بعمله:

إن العبد الذي ينوي نية صادقة ولا يستطيع تنفيذها في الواقع ينال ثواب الناوي الفاعل لما نوى، والدليل على ذلك:

١- روى مسلم عن سهل بن حنيف - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

٢- روى البخاري عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بالمدينة أقواماً، ما قطعتهم وادياً، ولا سرتم سيراً إلا وهم معكم**»، قالوا: وهم بالمدينة؟، قال: «**نعم، حبسهم العذر**».

وقد قال النبي ﷺ هذا الحديث في غزوة تبوك مخبراً أن أهل الأعذار من الضعفاء والمرضى والفقراء - الذين لم يستطيعوا أن يشاركوا جيش المسلمين في الجهاد في سبيل الله - لهم نفس أجر الجيش الغازي بإخلاصهم وصدق نياتهم.

٣- روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له بمثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**».

٤- روى أحمد والترمذي واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً و لم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**» [حديث رقم ٣٠٢٤ في صحيح الجامع] .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : «**وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء**» .

(٣) الإخلاص لله يثمر طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة .

(٤) الإخلاص لله يثمر علو الهمة وشدة العزيمة والصبر على الشدائد .

(٥) بالإخلاص لله تتحول المباحات والعادات إلى عبادات وقربات وأمثلة ذلك كثيرة فمنها:

- عبد يمارس الرياضة ويهتم بتقوية جسده ليجاهد في سبيل الله .
- عبد يأكل ليتقوى على الطاعة .
- عبد ينام أول الليل حتى يستطيع أن يقوم آخره للصلاة .

ففي هذه الأمثلة تحولت المباحات والعادات كالرياضة والأكل والنوم إلى عبادات وقربات يثاب عليها العبد ولهذا كان السلف يهتمون بأمر الإخلاص أشد الاهتمام كما قال زبيد اليامي - رحمه الله -: "إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب".

(٦) من ثمرات الإخلاصِ العظيمة: أن العمل يكثر به ويتعاظم: ولو كان العمل بالجوارح قليلاً إذا وجد معه الإخلاص؛ فإن العمل يعظم ويكون رابحاً لأن الله عز وجل - بكرمه ومنه - ينميه للعبد حتى إن العبد ليجد ذلك العمل يوم القيامة فوق ما يحتسب.

قال الله تعالى عن المجاهدين الصادقين: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة:١٢٠]، فأعمال المجاهدين لا يكتب منها ما زاولوه عند مواجهة العدو فقط، وإنما يكتب لهم كل عمل عملوه بمجرد الخروج من بيوتهم بل يكتب للمجاهد إعداده لطعامه وشرابه، ويكتب له نومه، ويكتب له مشيه ويكتب له كل شيء عمله ولو لم يلق عدواً، كل ذلك يكتب عند الله عز وجل، جوعهم يكتب لهم، وعطشهم يكتب لهم، وجراحهم تكتب لهم، ونفقاتهم تكتب لهم، وهكذا كل من خرج في طاعة لله جل وعلا.

(٧) إذا أخلص العبد لله عز وجل؛ فإن الله يسدده، ويوفقه، ويرشده إلى كل خير، وإذا نزلت الفتن واختلط الحق بالباطل والتبست الأمور؛ فإن أهل الإخلاص يهديهم ربهم بإيمانهم، ويوفقهم للصواب، ويظهره على أيديهم، وتنطق به ألسنتهم.

(٨) الله عز وجل يكفي العبد المخلص شأن الناس فلا يصله شيء يكرهه من جهتهم وبالتالي لا يعيش تؤرقه الهموم، ألم تسمع لشيخ

الإسلام ابن تيمية ماذا كان يقول وهو رهين الحبس: "أنا إن قتلت كان لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة، وإن حبسوني كان لي معبداً وأنا مثل الغنمة كيفما تقبلت على صوف".

(٩) ومن ثمرات الإخلاص لله نزول الفرج والنجاة من الكرب والشدة.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في قصة الثلاثة أصحاب الغار، قال النبي ﷺ: «**بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل؛ فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله؛ فادعوا الله تعالى بها؛ لعل الله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي، ولي صبيةٌ صغار أرعى عليهم؛ فإذا أرحت عليهم، حلبتُ، فبدأت بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ، وأنه نأي بي ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلُبُ، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدميَّ، فلم يزل ذلك دَأْبي ودأْبَهُم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة، نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة، فرأوا منها السماء، وقال الآخر: اللهم، إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله! اتقِ الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهكَ، فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم، وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفَرَقٍ أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاءها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك**

البقر ورعائها، فخذها، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى، ففرج الله ما بقى» .

(١٠) يفتح الله للعبد المخلص أبواب الهداية في كل شيء ؛ قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت:٦٩] ، فحددت الآية أولا طريق الجهاد والمجاهدة فقال تعالى: "جَاهَدُوا فِينَا" ثم بينت الآية نتيجة هذا الطريق المبنى على الإخلاص: ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ .

(١١) المخلص موعود بالنجاحين ، النجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة ، وليس هناك طريق يجمع النجاح في الدنيا والآخرة غير طريق الإخلاص ، فقد ينال غير المخلص مراده وينجح في تحقيق هدفه الدنيوي لكنه لن يحصل على نجاح الآخرة وثوابها ؛ قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ الله ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ الله سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء:١٣٤] ، يخبرنا الله في هذه الآية بأن من كان يريد بعمله ﴿ **ثَوَابَ الدُّنْيَا** ﴾ ؛ ﴿ **فَعِنْدَ الله ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾ فلماذا يطلب العبد الأخس؟! فليطلب الأعلى إذن بإخلاص النية لله وحده فيتحقق له النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

(١٢) الضمان الأول للفوز بتأييد الله تعالى لنا في تحقيق النصر هو الإخلاص ، وإلا فسيكون مصيرنا في معاركنا مع أعدائنا مرهوناً بمعايير القوة الطبيعية وحدها ، انظر إلى الصحابة رضى الله عنهم كيف فتح الله لهم البلاد ، حتى بلغوا في سنوات قليلة حدود الصين شرقاً والأندلس غرباً ، والقسطنطينية شمالاً ، مع أنهم لم يكن لهم من عدة الحروب وعتادها ما كان للفرس والروم ولكن لأنهم يتحركون بالإخلاص لله في نشر دين الله وإعلاء كلمة الله ، نصرهم الله نصراً مؤزراً .

(١٣) بالإخلاص لله ينجو المسلم من النار، ولو جاء رجل مشرك بالدنيا وما فيها وقدمه لله تعالى لينجيه من النار لن ينفعه، لأنه لم يكن موحداً مخلصاً. روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك - أحسبه قال - ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك**».

* * *

الفصل الثالث:
ثمرات تحقيق المتابعة

قال الشيخ محمد عمر بازمول ما ملخصه:

من أهم ثمرات ونتائج اتباع السنة ما يلي:

١- اتباع السنة سبيل اجتماع قلوب المسلمين ووحدتهم وألفتهم وبعدهم عن الاختلاف والتناحر.

قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦].

روى ابن ماجه عن العرباض بن سارية - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد**» صححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٤٣٦٩).

٢- اتباع السنة سبيل النجاة من الافتراق.

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٥٣٤٣) عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

في هذا الحديث العظيم بين النبي ﷺ أن سبيل النجاة من الفرقة المذمومة المتوعدة بالنار هو اتباع سنته بفهم صحابته الكرام.

٣- اتباع السنة سبيل الهداية من الضلال .

روى الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**» (حديث رقم ٢٩٣٧ في صحيح الجامع) .

٤- النسبة إلى السنة فيها شرف النسبة إلى الرسول ﷺ وفي ترك السنة خروج عن هذه النسبة الشريفة .

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» .

٥- اتباع السنة فيه النجاة من مسالك الشيطان .

روى أحمد في مسنده وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيماً**» ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣] .

٦- اتباع السنة يرفع عن المسلمين سمة الذل والهوان .

روى أبو داود عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» [حديث رقم ٤٢٣ في صحيح الجامع].

٧- في اتباع السنة تحصيل الشرع والدين: فالسنة هي المبينة للقرآن العظيم:

قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٤٤].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل:٦٤].

٨- السنة تشخص الداء الذي اعترى الأمة الإسلامية وتحدد الدواء.

روى أحمد وأبو داود عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟

قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**».

فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟

قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٩٥٨].

فهيا بنا يا إخواني الكرام ننهل من معين السنة الذي لا ينضب، هيا بنا نعالج أنفسنا من حب الدنيا وكراهية الموت، انظروا ماذا قال النبي ﷺ عن الدنيا:

روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً**» حسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ١٦٠٩].

٩- اتباع السنة يقود إلى مكارم الأخلاق.

روى البخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٢٣٤٩).

١٠- في لزوم السنة النجاة من الفتنة والعذاب الأليم.

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣].

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله - يقصد قول النبي ﷺ - : «**أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك**».

١١- اتباع السنة سبيل مغفرة الذنوب والفوز بجنة علام الغيوب.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:٣٠ - ٣١].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء:١٣].

١٢- اتباع السنة يؤدي إلى إحياء السنة وانتشارها بين الناس.

روى مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار؛ قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي

النمار أو العباء متقلدي السيوف . عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، ثم أمر بلالاً فأذن وأقام .

فصلى ثم خطب فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء:١] إلى آخر الآية: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ والآية التي في الحشر: ﴿**اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ [الحشر:١٨] «**تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره**» حتى قال: «**ولو بشق تمرة**» ، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت . قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ﷺ : «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» .

والسنة الحسنة في الحديث هي إحياء سنة مشروعة ثابتة عن النبي ﷺ لم يعهد العمل بها بين الناس لتفريطهم في العمل بالسنن ، فما أعظم ثواب من يسعى لإحياء السنن المهجورة .

١٣- اتباع السنة يحث على الانكسار لله والبكاء من خشيته وبذلك ينجو العبد من النار .

روى النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٧٧٧٨) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا**» .

الخاتمة

قال الشيخ حافظ حكمي في المنظومة الميمية في الوصايا، والآداب العلمية:

بالشَّرْعِ زِنْ كُلَّ أمْـرٍ مـا هَمَمْـتَ بـهِ ::: فـإنْ بَـدَا صـالِحًا أقْـدِمْ ولا تَجِـمِ
أخْلِصْهُ واصْدُقْ أصِبْ واهْضِمْ فَذِي شُـرِطَتْ ::: فِي صالِحِ السَّعْيِ أوْ فِـي طَيِّـبِ الكَلِـمِ
أخْلِـصْهُ للهِ واصْـدُقْ عازِمًـا وأصِـبْ ::: صِـرَاطَهُ واهْـضِمَنَّ الـنَّفْسَ تَنْهَـضِمِ
لا تُعْجَـبَنَّ بِـهِ يُحـبَطُ ولا تَـرَهُ ::: في جانـبِ الـذنْبِ والتقْـصِيرِ والـنِّعَمِ
وحيثُ كـانَ مِـن النّهْـيِ اجْتَنِبْـهُ وإنْ ::: زَلَلْتَ تُبْ منـهُ واسْـتَغْفِرْ مـعَ النَّـدَمِ
وَأَوْقِفِ النفْسَ عندَ الأمـرِ هـلْ فَعَلَـتْ ::: والنّهْيِ هلْ نَزَعَتْ عـن موجـبِ الـنّقَمِ
فإنْ زَكَـتْ فاحْمَـدِ الْمَـوْلَى مُطَهِّرَهـا ::: ونعْمَـةَ اللهِ بالـشُّكْرانِ فاسْـتَدِمِ
وإنْ عَصَتْ فاعْـصِها واعْلَـمْ عَـدَاوَتَها ::: وحَـذِّرَنْها وُرُودَ الْمَـوْرِدَ الـوَخِمِ
وانْظُرْ مَخازِي الْمُـسيئينَ الـتي أُخِـذُوا ::: بهـا وحَـاذِرْ ذُنوبًـا مِـن عِقـابِهِمِ
والْزَمْ صِفاتِ أولِي التّقَـوَى الـذينَ بهـا ::: عَلَـيْهِم اللهُ أثْنَـى واقْتَـدِهْ بِهِـمِ
واقْتَرِبْ وبينَ الرَّجَا والْخَـوْفِ قُـمْ أبَـدًا ::: تَخْشَى الذنُوبَ وتَرْجُو عَفْـوَ ذَي الكَـرَمِ
فالخوفُ ما أوْرَثَ التقوَى وحَـثَّ عَلـى ::: مَرْضـاةِ رَبِّـي وهَجْـرِ الإثْـمِ والأَثَـمِ
كَذا الرَّجَا ما عَلـى هـذا يحِـثُّ لِـتَصْ ::: دِيـقٍ بمَوْعـودِ رَبِّـي بـالْجَزَا العَظِـمِ
والْخَوْفُ إنْ زادَ أفْـضَى لِلْقُنُـوطِ كَمَـا ::: يُفْضِي الرَّجـاءُ لأَمْـنِ الْمَكْـرِ والـنِّقَمِ
فَـلا تُفَـرِّطْ ولا تُفْـرِطْ وكُـنْ وَسَـطًا ::: وَمِثْـلَ مَـا أمَـرَ الـرَّحْمَنُ فاسْـتَقِمِ
سَدِّدْ وقـارِبْ وأَبْـشِرْ واسْـتَعِنْ بغُـدوْ ::: وبـالرواح وأَدْلِـجْ قاصِـدًا ودُمِ
فمِثْـلُ مـا خَانَـتِ الكَسْلانَ هِمَّتُـهُ ::: فَطَالَمَـا حُـرِمَ الْمُنْبَـتُّ بالـسَّأَمِ
ودُمْ عَلى البَاقِيـاتِ الـصَّالِحاتِ وحَـوْ ::: قِلَنْ واسْـأَلِ اللهَ رِزْقًـا حُـسْنَ مُخْتَـتَمِ
واضْـرَعْ إلى اللهِ في التَّوْفِيـقِ مُبْتَهِلًـا ::: فَهو الْمُجيـبُ وأَهْـلُ الْمَـنِّ والْكَـرَمِ
يـا رَبِّ يـا حَـيُّ يـا قيـومُ مَغْفِـرَةً ::: لِمَـا جَنَيْـتُ مِـنَ العِـصْيانِ واللَّمَـمِ
وامْنُنْ عَلَيَّ بمَـا يُرْضِـيكَ واقْـضِهِ لِـي ::: مِن اعْتِقـادٍ ومِـنْ فِعْـلٍ ومِـنْ كَلِـمِ
وأَعْـلِ دينَـكَ وانْـصُرْ ناصِـريهِ كَمَـا ::: وَعَـدْتَهُمْ ربَّنـا فِـي أصْـدَقِ الكَلِـمِ
واقسِمْ بِبَأْسِـكَ رَبِّـي حِـزْبَ خاذِلِـهِ ::: ورُدَّ كَيْـدَ الأعـادِي فِـي نُحُـورِهِمِ
واشْـدُدْ عَلـيْهِمْ بزِلْـزَالٍ ودَمْدَمَـةٍ ::: كمَا فَعَلْتَ بأهْـلِ الْحِجْـرِ فِـي القِـدَمِ
واجْعَلْهُمُـو رَبَّنـا لِلْخَلْـقِ مَوْعِظَـةً ::: وعِبْـرَةً يـا شَـدِيدَ الـبَطْشِ والـنِّقَمِ

* * *

المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: التفسير:

١ . صحيح تفسير ابن كثير: الشيخ/ مصطفي العدوي

٢ . أحكام القرآن: القاضي أبو بكر بن العربي المالكي

٣ . التفسير الميسر: إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف الشيخ / صالح آل الشيخ .

٤ . فتح القدير: الإمام/ الشوكاني .

ثالثاً: كتب العقيدة والفرق:

١ . عون العلى الحميد شرح كتاب التوحيد: الشيخ/ إسلام دعدوشة

٢ . القول السديد على مقاصد التوحيد: الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

٣ . تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية: د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين

٤ . المنة شرح اعتقاد أهل السنة: د/ ياسر برهامي

٥ . حقيقة التوحيد: الشيخ/ محمد حسان

٦ . شرح الأصول الثلاثة: الشيخ/ محمد حسان

٧ . أحداث النهاية: الشيخ/ محمد حسان

٨ . عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين: د/ علي الصلابي

٩ . معارج القبول بشرح سلم الوصول: الشيخ/ حافظ حكمي

١٠ . الولاء والبراء في الإسلام: الشيخ/ محمد بن سعيد القحطاني

١١ . منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة: الشيخ/ أحمد الصويان

١٢ . الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د/ عمر بن سليمان الأشقر

١٣ . زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي: الشيخ/ أحمد عبد المتعال

١٤ . مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: الإمام ابن القيم

١٥ . مذاهب فكرية في الميزان: د/ علاء بكر

١٦ . ملامح رئيسية للمنهج السلفي: د/ علاء بكر

١٧ . الإسلام والليبرالية مواجهة صريحة: د/ علاء بكر

١٨ . فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام: د/ غالب عواجي

١٩ . الغزو الفكري في التصور الإسلامي: د/ أحمد السايح

٢٠ . أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: الشيخ / عبد الرحمن الميداني

٢١ . المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: الشيخ / علي بن نايف الشحود

٢٢ . العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام: الشيخ / ابن باز

٢٣ . الأدلة المادية على وجود الله: الشيخ / محمد متولي الشعراوي

٢٤ . الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان: الشيخ/ شحاتة صقر

٢٥ . البرهان على أن تارك العمل اختياراً فاقد لأصل الإيمان:

الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

٢٦ . براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة: الشيخ/ محمد بن سعيد الكثيري

٢٧ . فساد اليهود: الشيخ/ محمد بن عبد الملك الزغبي

٢٨ . الثمرات الزكية في العقائد السلفية: د/ أحمد فريد

٢٩ . عقيدة المؤمن: الشيخ/ أبو بكر الجزائري

٣٠ . الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه: د/ عبد الرحمن المحمود

٣١ . شبهات عصرانية مع أجوبتها: الشيخ/ سليمان بن صالح الخراشي

٣٢ . معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية: د/ عبد العزيز مصطفي كامل

٣٣ . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الشيخ/ مانع الجهني

٣٤ . خطورة اتباع المتشابه: د/ إبراهيم الحقيل (مقال على موقع مجلة البيان على الشبكة) .

٣٥ . موسوعة مواقف السلف: الشيخ/ محمد المغراوي .

رابعاً: كتب الحديث وعلومه:

١ . مختصر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: إعداد الشيخ/ السيد إبراهيم حندوق

٢ . شرح النووي على صحيح مسلم: الإمام/ يحيي بن شرف النووي

٣ . جامع العلوم والحكم: الإمام / ابن رجب الحنبلي

٤ . صحيح الجامع الصغير وزيادته: الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني

٥ . شرح رياض الصالحين للإمام النووي: الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

٦ . سنن الترمذي: الإمام / محمد بن عيسى بن سوره الترمذي

٧ . سنن أبي داود: الإمام / سليمان بن الأشعث السجستاني

٨ . سنن ابن ماجه: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني

٩ . سنن النسائي: الإمام / أحمد بن شعيب بن علي النسائي

١٠ . قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: الشيخ/ محمد جمال الدين القاسمي

١١ . مكانة الصحيحين: د/ خليل إبراهيم ملا خاطر

١٢ . أطيب المنح بشرح المنظومة البيقونية: الشيخ/ مجدي عرفات

١٣ . شرح المنظومة البيقونية: الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

١٤ . محاضرات مفرغة: الشيخ/ محمد صالح المنجد

١٥ . تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف: د/ عبد العزيز بن محمد العثيم

١٦ . منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتي عصرنا الحاضر: د/ علي عبد الباسط مزيد

١٧ . الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: د/ محمد بن محمد أبو شهبة

١٨ . تدريب الراوي شرح تقريب النواوي: الحافظ/ السيوطي

١٩ . اختصار علوم الحديث: الإمام/ ابن كثير تحقيق الشيخ/ أحمد شاكر

٢٠ . جامع الأصول في أحاديث الرسول: الإمام/ ابن الأثير .

خامساً: كتب الرقائق:

١ . موسوعة الأخلاق الإسلامية: مجموعة من المؤلفين تحت إشراف الشيخ علوي السقاف

٢ . البحر الرائق في الزهد والرقائق: د/ أحمد فريد

٣ . تذكير النفوس المؤمنة بأسباب سوء الخاتمة وحسن الخاتمة: د/ أحمد فريد

٤ . أعمال القلوب: د/ خالد السبت

٥ . إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: الإمام/ ابن القيم

٦ . المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية: الشيخ/ حافظ الحكمي

٧ . مفتاح دار السعادة: الإمام/ ابن القيم .

سادساً: كتب الفقه وأصوله:

١ . صحيح فقه السنة: الشيخ/ أبو مالك كمال بن السيد سالم

٢ . صفة صلاة النبي ﷺ : الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني

٣ . مقاصد المكلفين: د/ عمر بن سليمان الأشقر

٤ . إعلام الموقعين عن رب العالمين: الإمام/ ابن القيم

٥ . الموافقات في أصول الشريعة: الإمام/ أبو إسحاق الشاطبي

٦ . معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: د/ محمد بن حسين

الجيزاني

٧ . تتبع الرخص بين الشرع والواقع: الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الله التويجري

٨ . بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب: د/ محمد بن إسماعيل المقدم

٩ . الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب: الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني

١٠ . مجموع الفتاوي: الإمام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

سابعاً: كتب السير والتاريخ:

١ . نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام/ شمس الدين الذهبي ، إعداد الدكتور/ محمد موسى الشريف

٢ . ماذا قدم المسلمون للعالم: د/ راغب السرجاني

ثامناً: الموسوعات: الموسوعة الشاملة .

* * *

الفهرس

تقديـم فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي ٣
مقدمة ٤
الباب الأول: شروط قبول العمل ٧
شروط قبول العمل ثلاثة: ٧
الفصل الأول الشرط الأول: توحيد الله عز وجل ٨
(مقتضيات كلمة التوحيد) ١٠
شروط لا إله إلا الله: ١١
نواقض الإسلام: ١٤
الفصل الثاني: الشرط الثاني الإخـلاص ١٨
الواردات التـي ترد على القلب: ١٩
لماذا كان الله هو المقصود دون سواه؟ ٢٢
الفصل الثالث: الشرط الثالث: المتابعة (متابعة السنة) ٢٨
المبحث الأول: وجوب متابعة السنة والتحذير من مخالفتها ٢٩
المبحث الثاني: تعظيم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة . . ٣٤
المبحث الثالث: كيف نفهم نصوص الكتاب والسنة؟ ٣٧
الباب الثاني: آفات على الطريق ٤١
الفصل الأول: آفات على طريق التوحيد ٤٢
المبحث الأول الآفة الأولى: الشرك في الربوبية ٤٤
المبحث الثاني: الآفة الثانية: الإلحاد في الأسماء والصفات . . . ٤٧
المبحث الثالث: الآفة الثالثة: الشرك في الألوهية ٥١
الفصل الثاني: آفات على طريق الإخلاص ٥٩
المبحث الأول: الآفة الأولى: الرياء ٦٠
المبحث الثاني: الآفة الثانية: العمل للدنيا ٦٥

المبحث الثالث: الآفة الثالثة العجب ٦٨
الفصل الثالث: آفات على طريق المتابعة ٧٥
المبحث الأول: الآفة الأولى: الجهل ٧٧
أولاً: الإرجاء: ٧٨
أسباب الإرجاء: ٧٨
مظاهر الإرجاء في الأمة الإسلامية: ٨٠
ثانيًا : الغزو الفكري: ٨٣
تعريف الغزو الفكري: ٨٣
أسباب الغزو الفكري: ٨٣
وسائل الغزو الفكري: ٨٦
أهداف الغزو الفكري: ٩٣
المبحث الثاني: الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩٧
آثار انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين الناس: ٩٨
المبحث الثالث: التقليد الأعمى وتتبع الرخص ١١٥
تعريف التقليد: ١١٥
شروط التقليد الجائز: ١١٦
التقليد الأعمى أو التقليد المذموم: ١١٧
(١) الإعراض عن الوحي وعدم الالتفات إلى نصوص الكتاب والسنة: . . ١١٧
(٢) تقليد مَن لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله: ١١٧
(٣) تقليد قول من عارض الله ورسوله ﷺ كائناً من كان ذلك المعارض: . ١١٨
(٤) التقليد بعد وضوح الحق ومعرفة الدليل: ١١٨
(٥) تقليد مجتهد واحد بعينه في جميع اجتهاداته: ١١٨
تعريف تتبع الرخص: ١٢٢
حكم تتبع الرخص: ١٢٢
أقوال العلماء في ذم تتبع الرخص: ١٢٢

شبهة اختلاف الأمة رحمة والآراء الفقهية يأخذ منها مَن يشاء ما يشاء ويدع ما يشاء: ١٢٤
الآثار السيئة المترتبة على تتبع الرخص: ١٢٧
المبحث الرابع : الآفة الرابعة : اتباع المتشابه.....١٣٠
المبحث الخامس : الآفة الخامسة : الكبر ١٣٧
تعريف الكبر: ١٣٧
ذم الكبر والنهي عنه في القرآن الكريم: ١٣٧
ذم الكبر والنهي عنه في السنة النبوية: ١٣٨
أقوال السلف والعلماء في ذم الكبر والمتكبرين: ١٤٠
حكم الكبر: ١٤٠
صور الكبر: ١٤٣
الآثار الضارة المترتبة على الكبر: ١٤٦
الباب الثالث: زاد المحبين في الطريق إلى رب العالمين ١٤٨
الفصل الأول: الأسباب المعينة على تحقيق التوحيد ١٥٠
الفصل الثاني: الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص ١٦٠
أولا: علاج الرياء والعمل للدنيا: ١٦٠
ثانيا: علاج العجب: ١٦٢
الفصل الثالث: الأسباب المعينة على تحقيق المتابعة ١٦٥
أولا: مواجهة ظاهرة الإرجاء: ١٦٥
ثانياً :مواجهة الغزو الفكري ١٧٣
العلمانية ١٨١
الليبرالية ١٨٤
الديمقراطية ١٨٦
ضوابط الرد على الشبهات: ١٩١
ثالثـًا: مواجهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٩٦

رابعـًا: مواجهة التقليد الأعمى: ٢٠٩
خامسًا: مواجهة ظاهرة تتبع الرخص: ٢٠٩
سادساً : مواجهة اتباع المتشابه.....٢١١
سابعًا: علاج الكبر: ٢١٨
الباب الرابع: ثمرات السرور على طريق النور ٢٢٠
الفصل الأول: ثمرات تحقيق التوحيد ٢٢٢
الفصل الثاني: ثمرات تحقيق الإخلاص ٢٢٦
الفصل الثالث: ثمرات تحقيق المتابعة ٢٣٢
الخاتمة ٢٣٧
المراجع ٢٣٨
الفهرس ٢٤٥

* * *

لماذا تقرأ كتاب **بارقة الأمل في شروط قبول العمل؟**

لأسباب كثيرة تلاحظها بنفسك بإذن الله – تبارك وتعالي – منها:

(١) بارقة الأمل يقدم لكل مسلم شروط قبول العمل بشكل مفصل واضح لا غموض فيه ولا التباس .

(٢) بارقة الأمل يقدم للمسلم أهم مباحث عقيدة أهل السنة والجماعة في صورة سهلة ، مختصرة ، ومركزة في الوقت ذاته .

(٣) بارقة الأمل يعلم المسلم الوقوف عند الدليل الشرعي من الكتاب والسنة فلا يحيد عنه أبداً .

(٤) بارقة الأمل يعلم المسلم كيف يتحرر من رق المخلوقين وداعية هواه فلا يكون عبداً إلا لله .

(٥) بارقة الأمل يكشف حقيقة اتباع الهوي في تتبع زلات العلماء ، ويدحض شبهات المقلدين .

(٦) بارقة الأمل يكشف المخططات الخبيثة لأعداء الإسلام في السيطرة علي الأمة الإسلامية فكرياً ، وتسخير عقول شبابها لصالح أهدافهم الدنيئة .

(٧) بارقة الأمل يعلم شباب الإسلام معني الإنتماء للإسلام والاعتزاز به فلا يتبعون شرقاً ولا غرباً .

(٨) بارقة الأمل يقدم للمسلمين زاد المحبين في الطريق إلي رب العالمين . (الأسباب المعينة على تحقيق التوحيد – الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص – الأسباب المعينة على تحقيق المتابعة) .

(٩) بارقة الأمل يبين للمسلمين ثمرات السير علي هذا الطريق المنير . . طريق اتباع الأثر بفهم خير البشر .

(١٠) بارقة الأمل يستنهض الهمم للذود عن حمي الإسلام بالاستقامة علي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قريبًا إن شاء الله:

كتاب

الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية

يعرض لنا مجموعة من أهم القضايا التي تواجه كل مسلم يوميًا في جميع أقطار العالم الإسلامي من خلال رؤية شرعية رصينة تشخص الداء وتحدد الدواء الشافي بإذن الله ؛ فما هي هذه القضايا؟! ولماذا يقف الكثير من المسلمين حياري تجاهها؟!! وماهي السبل الشرعية للتعامل معها؟

هذا ماسنعرفه بالتفصيل بإذن الله من خلال كتاب :

الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية

أبو البراء الدمياطي هيثم بن محمد بن حمدان

haythamhemdan164@yahoo.com

فانتظرونا